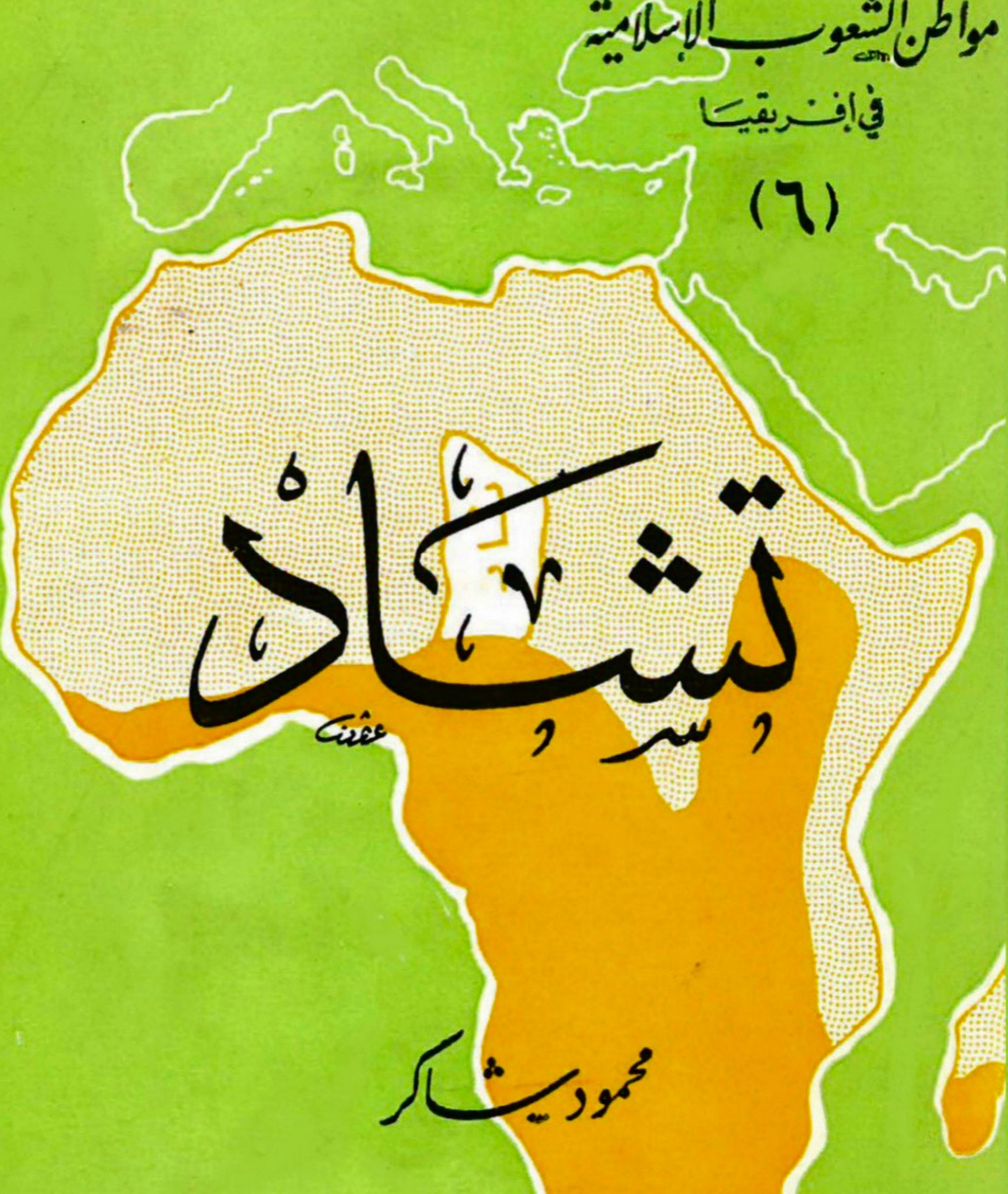
مواطن الشعوب الإسلامية
في إفريقيا
(٦)



تشاد

محمود شاكر

مؤسسة الرسالة
للطباعة والنشر

١٣٩٢ هـ - ١٩٧٢ م
الطبعة الأولى

مُقدّمَة

الحمد لله رب العالمين والصلاة والسلام على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه ومن سار على دربه وبعد : كنا نتوقع أن يستمر الدعم لثورة تشاد بعد الحركة التي قامت هناك في صيف عام ١٩٧١م ، والتي ساندتها ليبيا ، وكنا نتوقع أيضاً أن تؤيد الدول العربية ومن ورائها العالم الاسلامي ليبيا في موقفها ، وأن تساعد الحركة وتدعمها لياخذ الحق مجراه ، وليظهر وجه تشاد الصحيح ، ولتسير في ركب الحق ، وتساعد العرب ضد اسرائيل ، وتطرد البعثة اليهودية من أراضيها - كما فعلت أوغندة - ، ولكن حدث غير ما كنا نتوقع ، فقد توقف التأييد ، وساد الصمت ، ونسي الأمر ، وعادت الوساطة الدولية لإعادة العلاقات الديبلوماسية بين ليبيا وتشاد ، ورجع الوضع إلى حالته الراكدة . ونحن نعتقد أن هناك ظلماً قائماً في تشاد ، واستبداداً ظاهراً ، وتمييزاً واضحاً ، وباطلاً مسيطراً ، ونحن مدعون لإزالة هذا الباطل ومنع ذاك الظلم ، « وما لكم لا تقاتلون في سبيل الله والمستضعفين من الرجال

والنساء والولدان الذين يقولون ربنا أخرجنا من هذه القرية الظالم أهلها ، واجعل لنا من لدنك ولياً ، واجعل لنا من لدنك نصيراً » . ولكن هذا الظلم لا يزول إلا بتأييدنا للحركة المناهضة له ، والتي لا يمكن أن تنجح ما لم تتلق دعماً من الخارج ، مهما أخذت بأسباب القوة ، ما دام السلاح بيد الظالمين وإليهم يأتي الدعم من المستعمرين ومن الدول الأجنبية .

كما لا يمكن الانتصار على اسرائيل إلا بعد هزيمتها من الخارج ، وقطع كل الأسباب المؤدية إلى حياتها وخاصة الاقتصادية منها حيث تعتمد على المعونات والمساعدات الخارجية ، وكذا الدعاية ، وهذا لا يتم ، ولا تفيد المقاطعة العربية شيئاً إلا إذا أغلقت السبل الإفريقية في وجه اسرائيل حيث إن دول إفريقية هي التي تمد اسرائيل ببعض أسباب الحياة . فيجب دعم كل حركة تقوم في أية دولة إفريقية تريد القضاء على حكامها الذين يتعاونون مع اسرائيل . وفي مقدمتهم حكام تشاد .

وإن ترك التأييد لحركة دعمت في الماضي سيؤثر عليها ، لأن أفرادها يقطعون الأمل في النصر عندما لا يجدون الدعم ممن ينتظرون ؛ وفي النهاية تموت الحركة ، وتفشل الثورة ، ويستمر

الوضع السيء ، ويتمادى الحاكم في غيه ، ونخسر الجولة ، ويكون النصر للطغاة ولاسرائيل .

وهذا ما نريده من كتابة هذا الموضوع في مساعدة سكان تشاد على الاستمرار في حركتهم لمقاومة الظالمين ، وحث الدول العربية والاسلامية على مساعدتهم ، وفي تعريف المسلمين بأحوال اخوانهم هناك ، فنرجو من الله أن نوفق في عرض هذا البحث ، وأن يكون عملنا خالصاً له . وهو نعم المولى ونعم النصير .

٢٢/٣/١٩٧٢ م

محمود شاكر

علاقتنا بتشاد

قال لي أخ زرته ، وقد عاد من ليبيا بعد أن حاضر عاماً في جامعتها ـ والحـديث في مثل هـذه الزيارات لا يدور إلا عن المشـاهدات والملاحظات في تلك البلاد التي كان فيهـا المسافر . سأل ـ وهو يعلم مدى اهتمامي بالبلاد الافريقية ـ عن عاصمة ليبيا ، والمعروف أنهـا كانت طرابلس ـ ولكنها قد نقلت إلى مدينـة البيضاء شمال شرقي مدينة بنغازي على الجبل الأخضر ، حيث المناخ المعتدل والجو اللطيف ، وكان يعتقد أن مدينة البيضاء لا تزال مجهولة ، وأن نقل العاصمة غير معروف بالنسبة لكثير من الناس ، فلم أستنكر ، فأجبت ، وان استنكره الحضور . ثم سـأل أسئلة عديدة عن المواقع والمدن ، منها الكبير المعروف ، ومنها الصغير المجهول ، ثم تطرق إلى العـادات والتقاليد فبعضها الشائع العام وبعضها المحلي الخاص .

وجهت إليه سؤالاً بسيطـاً ، فظن أول الأمر أنه انتقاص

من شـأنه وحط من علو مكانـه وظهر أثر ذلك على وجهـه فأجاب : ـ وإن تململ ـ .

إنا لا نزال طـلاباً في الجغرافيـــة ـ وكأنه يريـد الغمز ـ فاعتذرت إليه ـ وأوضحت أني لا أقصد شيئاً مما يفكر ، وأن الموضوع عام ، ما دام الأمر قد طرق .

قلت : ليبيا دولة عربية ، وبقيت فيها سنة كاملة ، يجاورها من الجنوب جمهورية ... فسكت ولم يرد أن يجيب إجابة خاطئة .

قال : والله إن المناهج المدرسية لناقصة كل النقص ، ويجب إعادة النظر فيها من الأسـاس ، ومع هذا فإنا لا نهتم بالحدود الموسومة ، والرموز الوهمية ، والخطوط الرمزية ، ولا نبتغي ما يثير الأحقاد بين العباد ، ولا نقيم للتراب وزناً بجانب الروابط الروحية التي تجمعنا مع سكان تلك البلاد التي لا أعرف لها اسماً ونعتبر أن العلم الذي لا ينير الفكر ، ولا يخدم الأمة ، ليس بعلم ، وإنّ كل الورى إذا اعتقدوا ما نعتقد فهم أهل ، لا يفصل بين قلوبهم المتحدة إشارات وضعها أعداؤهم ، وأخيراً فأنا أعرف أن سكان تلك البلاد أغلبهم من المسلمين ، قلوبهم معنا ، وأفئدتهم تهفو إلينا ، يتتبعون قضايانا باهتمام ، وإن كنا لا نعرف عنهم شيئاً ،

وأعرف أن منهم قبائل عربيـة هي نفس القبائل التي تنتقل في جنوب ليبيا .

قلت : هـذا صحيح وأنا لا أشـك بمعلوماتك وقدرتك ، ولكن أليس من الضروري أن نتعرف على تلك البلاد وسكانها، وندرس أوضاعهم وأحوالهم ومشكلاتهم ، وإن ذلك ضروري ليس من ناحية معينة أو من جانب واحد بل من عدة نواحي .

١ - دينيـة : فمن لم يهتم بأمر المسلمين فليس منهم ، وإن سكان تشاد أغلبهم من المسلمين تزيد نسبتهم عن ٨٥ بالمائـة من السكان ، ومع ذلك تتحكم فيهم أقلية صغيرة تقل عن ١٠ بالمائة صنعها الاستعمار تحت يده ، ورباها أمام عينيه ، حتى إذا استقامت له سلمهـا زمام الأمر والحكم ، كما أن أحوال المسلمين سيئة ، وأوضاعهم رديئـة ، يقاسون من العذاب ما يقاسون ، يطلبون المساعدة ولكن لا تمتد إليهم الأيدي ، ويطلبون النجدة ولكن نخوة المعتصم قد فقدت [1]، وقد ذكرت جريدة الثورة السورية

---

(١) - كان توفيل ملك الروم ، ينتهز الفرص الملائمة ، لينتقم من المسلمين الذين دوخوه ، وألزموه أن يدفع الفدية قهراً . فحدث أنه لما كان الافشين أحد قوادالمعتصم يحاصر بابك الخرمى الثائر على الدولة ، ويضايقه ــ

« إن سكان جمهورية تشاد الذين يتألف ٨٠ بالمائة منهم من المسلمين يخضعون لحكم الأقلية المدعومة من الاستعمار . » ومن المعروف أيضاً أن حكومة الأقلية تمارس الاضطهاد الديني والعنصري لأبناء الشعب التشادي وتحاول إبقاء المسلمين في حالة

ــ أن تحرك تيوفيل في مائة ألف مقاتل، حتى أتى زبطرة، فقتل من فيها من الرجال ، وسبى النساء والذرية، وأحرق المدينة ، وسار إلى ملاطية ، فأغار على أهلها ، وسبى من المسلمات فيما قيل أكثر من ألف امرأة ، ومثل بمن صار في يده من المسلمين ، وسمل أعينهم ، وقطع آذانهم وأنوفهم ، فصاحت إحدى المسلمات « وامعتصماه » ، ووصلت تلك الأخبار إلى المعتصم في سامراء ، فاشتد عليه ، وصاح النفير ، وسار على رأس الجيش فأنقذ الحصون التي دخلها تيوفيل ، ثم سأل أي حصن هو أقوى حصون الروم ، فقيل : عمورية ، فذهب إليها، ودخلها ، وأحرقها رغم تكهنات المنجمين بأن عمورية لن تفتح في مثل هذا الوقت : وأصبحت نجدة المعتصم ونخوته مثلاً رائعاً في التاريخ ، يضرب بها المثل في كل مناسبة وها هو ذا الشاعر عمر أبو ريشة يذكرها في قصيدته فلسطين .

رب وامعتصماه انطلقت   ملء أفواه البنات اليتم
لامست أسماعهم لكنها   لم تلامس نخوة المعتصم

من الجهل ، فلا تتجاوز مدارسهم الشهادة الابتدائية في حين تتجاوز المدارس الفرنسية شهادة الدراسة الثانوية »[1] .

ورغم هذا الذي ذكر فإن جميع أجهزة الاعلام لا تتكلم بشيء عن الوضع في تشاد ، ولا تهتم بذلك ، وبالتالي لا يعرف الشعب شيئاً ، لأنه إذا أريد له أن يعرف فليس من وسيلة إلا أجهزة الاعلام .

ولما كنت أهتم بشؤون إفريقية ، كنت أتوقع أن يشغل موضوع تشاد حيزاً من الإعلام بعد زيارة وفد منها إلى سورية[2] وبعد الأحداث الأخيرة التي جرت فيها .

ولكن الأمر لم يلبث طويلًا ، فذهب الوفد ، وسكتت الصحف ، حتى عاد الوضع إلى طبيعته الراكدة . ولا بد من القول إن هذا الذي لايزال غامضاً بالنسبة لنا قد أصبح واضحاً جلياً لغيرنا ، وغاب عنا وأدركه الأعداء ، فها هو رئيس وزراء الصين الشعبية يقول لأحد الوزراء العرب أثناء زيارتهم للصين :

---

(١) التي تصدر في دمشق بعددها ٧٧٠ تاريخ ٢٠ تشرين الثاني ١٩٦٥.

(٢) كان وفد من تشاد قد زار في تلك الفترة الجمهورية العربية السورية واجتمع بالمسؤولين فيها .

« إن العرب الآن هم أشد الأمم إهمالاً للسياسة والاستفادة من الظروف وكسب ود الشعوب فإن وراء العرب ٦٠٠ مليون مسلم ، يستطيعون أن يحركوهم حسب إشارات أصابعهم بكلمة واحدة هي (محمد) إن استطاعوا أن يحسنوا الصلة بهم ، وإن في الصين عندنا عشرات الملايين من المسلمين ، ورغم جهلهم بالإسلام ، فإنهم أقرب إليكم منا ، ونحن اليوم لا يحركنا أمثال هذا الكلام ، ولا يدفعنا لتحسين الصلة مع بقية المسلمين في العالم .

٢ – قومية : يتنقل في شمال تشاد قبائل عربية ، هي نفس القبائل التي تعيش في ليبيا مثل قبائل (تيبو) التي هي من قبائل الطوارق التي تنتشر في ليبيا ، كما تنتقل في الشرق قبائل تمت بصلة إلى القبائل التي تعيش في السودان ، وعلى هذا يشكل العرب نسبة كبيرة من سكان تشاد ، إضافة إلى أن اللغة العربية شائعة في تلك الأرجاء ، حيث إنها لغة الدين الإسلامي الوحيدة ، والمسلمون كما ذكرنا يؤلفون أغلبية السكان . وقد جاء في جريدة الثورة السورية « ويبلغ عدد العرب فيها (تشاد) ٤٥ بالمائة من السكان وعشرين بالمائة من القبائل المختلفة[1] » . وقد

---

(١) – الثورة : العدد ٧٧١ تاريخ ٢٠/١١/٩٦٥ .

جاء في عدد آخر من نفس الجريدة (فقد بين الوفد أن ٨٠ بالمائة من سكان تشاد عرب ومسلمون ويتكلمون اللغة العربية ، ولكن تفرض عليهم من الناحية الرسمية اللغة الفرنسية)[1] . أنا لا أقول إن القومية مبدأ أو دستور أو غاية بحد ذاتها ، وإنما هي مجرد وسيلة ينادي بها الزعماء لإلهاب العاطفة وزيادة الشباب حماساً ، ودفعهم نحو النشاط ، وخاصة في البلاد المتفككة والمقاطعات المجزأة ، وينتهي أثرها بانتهاء التجزؤ ويطويها التاريخ ، وتصبح الحاجة ماسة إلى فكرة أشمل وأعم وأوسع مدى وأكثر ربطاً واندماجاً . ومع ذلك فقد أصبحت اليوم هي اللازمة التي تردد في الخطب ، وتنادي بها الجموع في كل مناسبة ، في الأقطار العربية المختلفة ، وهي تعتمد بالدرجة الأولى على الجنس وتقوم على القوم ، ومع ذلك فلا يثير وضع هؤلاء العرب في تشاد وغيرها من البلدان الإفريقية أي اهتمام منا .

فمن أول دواعي القومية أن يعرف الفرد حدود وطنه والدول التي تتجاور مع أرضه ، ولو سألنا طلاب الصفوف الثانوية في المشرق عن حدود وطنهم الجنوبية في إفريقية ، لأخطأ الجواب جميعهم ، ولأجاب معظمهم الصحراء الكبرى ، وكلمة صحراء

---

(١) ـ الثورة : العدد ٧٧٢ تاريخ ٢١/١١/٩٦٥ .

تدل على بيئة جغرافية ولا تدل مطلقاً على دول سياسية ، ولو أوضحنا ذلك لبقيت الإجابات الصحيحة معدومـــة ، ولو أردنا إدراك سـبب هـذه الأخطاء لرأيناه في المناهج . ومن الدواعي القومية أن يعرف الإنسان تاريخ أمتـه ، وتاريخنا مشترك مع عدد من الدول الإسلامية في إفريقية ومع ذلك فنحن نجهل هذا التاريخ ، بل نغمض أعيننا عن رؤيته ، ونصم آذاننا عن سماعه وعن تفهمه ووعيه .

ومن مقومات القومية العـادات والتقاليد ، وعادات القبائل في تلك البـلاد عادات عربية صرفة وتقاليد عربية بحتة ، ولقد تركنا عاداتنا ، وتمسكوا بهـــا ، قلدنا الغرب ، وحافظوا على تقاليدنا ، وإن كنا لا نزال نتغنى بتقاليدنا ، ونقف على ذكراها في كل حفل ، وهذا لايمنع ، فالقول والمناداة شيء والعمل والتطبيق شيء آخر — مع الأســـف — ومن مقومات القومية الآمال والآلام ، فسـكان إفريقية يتوقون لمعرفة أخبارنا ، ويتشوقون لسماع أحداثنا ، تهفو قلوبهم إلينـــا ، وتتحدق أعينهم نحونا ، تهزهم مصائبنـا ، وتؤثر فيهم نوائبنا ، يفرحون لأفراحنـا ، ويسرون لانتصاراتنا ، ونحن عنهم مولون ، لا نعرف شيئاً عنهم

بل لا نريد أن نعرف ، ولا نسمع عنهم خبراً بل لا نتقصى أثراً ، فأين القومية ومقوماتها ؟.

٣ - سياسية : إن أولى مطالب السياسة ، أن تعرف الدولة جيرانها وأفكارهم وعاداتهم وتقاليدهم ، فهناك حدود مشتركة ومصالح واحدة ، ويمكن أن تكون مبادلات تجارية ومعاهدات ثقافية ، وعقد اتفاقيات من أجل تنفيذ مشاريع حيوية ، أو مد سكك حديدية ، أو مواصلات هاتفية أو ما إلى ذلك من شؤون وأمور ، إضافة إلى هذا فنشترك مع جيراننا بسياسة واحدة هي مقاومة الاستعمار وكسر شوكته .

إن إفريقية قد بدأت تنفض عن عيونها غبار الجهل الذي دام مدة طويلة ورثته عن الاستعمار ، وبدأت دولها العديدة تلعب دوراً ظاهراً في الاقتصاد العالمي والسياسة الدولية ، وبدأ الصراع بين المعسكرات يدخل إليها ، والأفكار تنتشر فيها ، وأصبحت كل أمة تدلي بدلوها لتقوي مركزها في البلدان الإفريقية الناشئة ، وبدأ التنافس بين البلدان العربية ودولة العصابات (إسرائيل) أيضاً ، ورغم الصلات القوية والروابط المتينة بيننا وبين دول إفريقية ، فإني أقول بصراحة : إننا سنخسر الجولة - مع

الأسف - إذ بقينا على ما نحن عليه ، فاهتمامنا بافريقية ضئيل جداً ، وحتى من حيث الدراسة - وإن وجدت - فلا تتعدى اللمحة عن النواحي الطبيعية والإقتصادية دون أن تصل ولو بعبارات خاطفة إلى النواحي الاجتماعية ومشكلات السكان ، أما إسرائيل فقد استطاعت الاتصال بهذه الدول وقامت الزيارات ، وحصلت المبادلات ، وأسست الشركات ، وابتدأ التعاون ، فقد جاء على لسان الوفد الذي زار الجمهورية العربية السورية عن الوضع السيء الذي يعانيه الشعب التشادي وهو يعيش تحت وطأة دكتاتورية حزب حاكم منقاد للاستعمار والصهيونية ، وقال : « إن حكام تشاد قد عينهم الاستعمار الفرنسي تعييناً ، وإنهم جميعاً يتعاونون مع الصهيونية العالمية واسرائيل ، وقال إن النفوذ الإسرائيلي في تشاد هو في ازدياد كبير ، ويشكل خطراً على البلاد ، وفضح خطة حكومة الأقلية بإرسالها عام ١٩٥٩ بعثة برلمانية رسمية إلى إسرائيل وقعت معها اتفاقات سرية تقدم خلالها - إسرائيل - الخبراء والمستشارين وأعقب الاتفاقية فتح الأبواب لليهود ، وقال بأنه لم يكن في تشاد يهودي واحد ، لكن اليهود بدأوا يتغلغلون في البلاد ، ويتبوأون المراكز الحساسة ، حتى أن مدير الشؤون الإسلامية

في تشاد حالياً هو صهيوني اسرائيلي ، وكذلك مدير الأمن العام واسمه حمداني ، وقال إن اسرائيل قد حضنت بعض المجندين المسرحين في تشاد وقامت بتدريبهم في اسرائيل ، ثم أعادتهم إلى تشاد ليكونوا عوناً لها وركزاً[١] .

وتحاول الدول الراقية ما أمكنها نشر لغتها ، وتسعى إلى ذلك جاهدة ، وتعتبر انتشار لغتها تقدماً لنفوذها وتوسعاً لافكارها وكسباً لمؤيدين جدد لها في قضاياها الكبرى التي تسعى من أجلها ، وتكافح للوصول إليها ، ونحن على العكس نرى الشعوب الإسلامية تبذل ما تستطيع في سبيل تعلم اللغة العربية وتضحي بكل امكاناتها في سبيل ذلك ، يفرض عليها دينها ، ونحن لا نبخل بتدريس لغتنا ومحاولة انتشارها وتوسعها ولكن نمتنع عن ذلك أشد الامتناع ونبتعد كل البعد ، بل نحاول ألا نسمع بطلبات إرسال المدرسين لتعليم اللغة العربية ، وما ذلك إلا لأنه

---

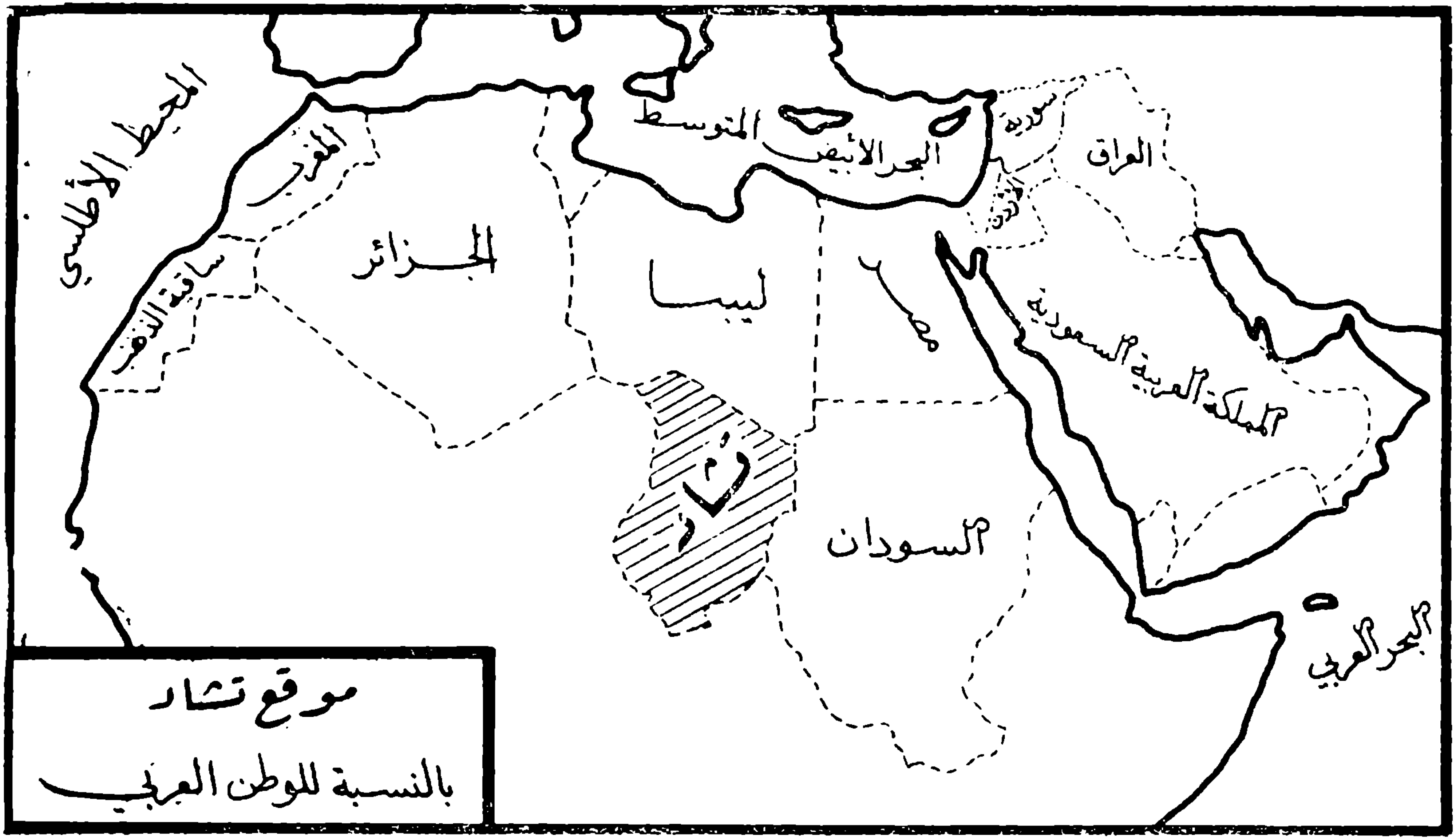
(١) ـ هذه الأقوال على لسان السيد إبراهيم أنيشا رئيس الوفد التشادي الذي زار الجمهورية العربية السورية وزميله السيد أبو بكر عثمان عضو الوفد التشادي ، وهما من حزب الاتحاد الوطني ، أما الحزب الحاكم فهو الحزب التقدمي التشادي .

ليس لنا قضايا كبرى بحاجة إلى دعمها ! ، أو أننا تركنا المجال السياسي في إفريقية وانكمشنا على أنفسنا ، وإما لأننا لا نريد أن نتصل بدول سكانها من المسلمين .

وقد رأينا كيف تغير الوضع في اوغندة لمصلحة العرب ضد اسرائيل التي كانت لهـــا ركائز قوية فيها وذلك بعـد الاتصال برئيس جمهورية اوغندة السيد عيدي أمين .

وبعد هـــذا الكلام طلب مني الأخ الذي عـاد من ليبيا الكتابة عن تشاد ومحاولة التعريف بها .

وشعوراً منا بالمسؤولية ، وقيامـــاً بالواجب المترتب علينا رأينا بحث تشاد بالمقدار الذي يحتاجه العمل الشعبي والإنسان العادي والله من وراء القصد .



موقع تشاد
بالنسبة للوطن العربي

تشاد

دولة تقع وسط إفريقيـــة ، تشغل مساحة واسعة ، تزيد عن مليون وربع من الكيلومترات المربعة (١،٢٨٤،٠٠٠ كم٢) ومع ذلك لا تنفذ إلى البحر ، ولا تلاطم أمواجه حدودها ، وإنما تغطي الكثبان الرملية فيافيها ، وتتصل بالبلاد العربية فتحدها من الشمال الجمهورية العربية الليبية ، كما تجاورها من الشرق السودان ، وأما من بقية الجهات فتحاذي دولاً إفريقية عديدة منها النيجر ، ونيجيريا والكاميرون من الغرب ، وجمهورية إفريقية الوسطى من الجنوب .

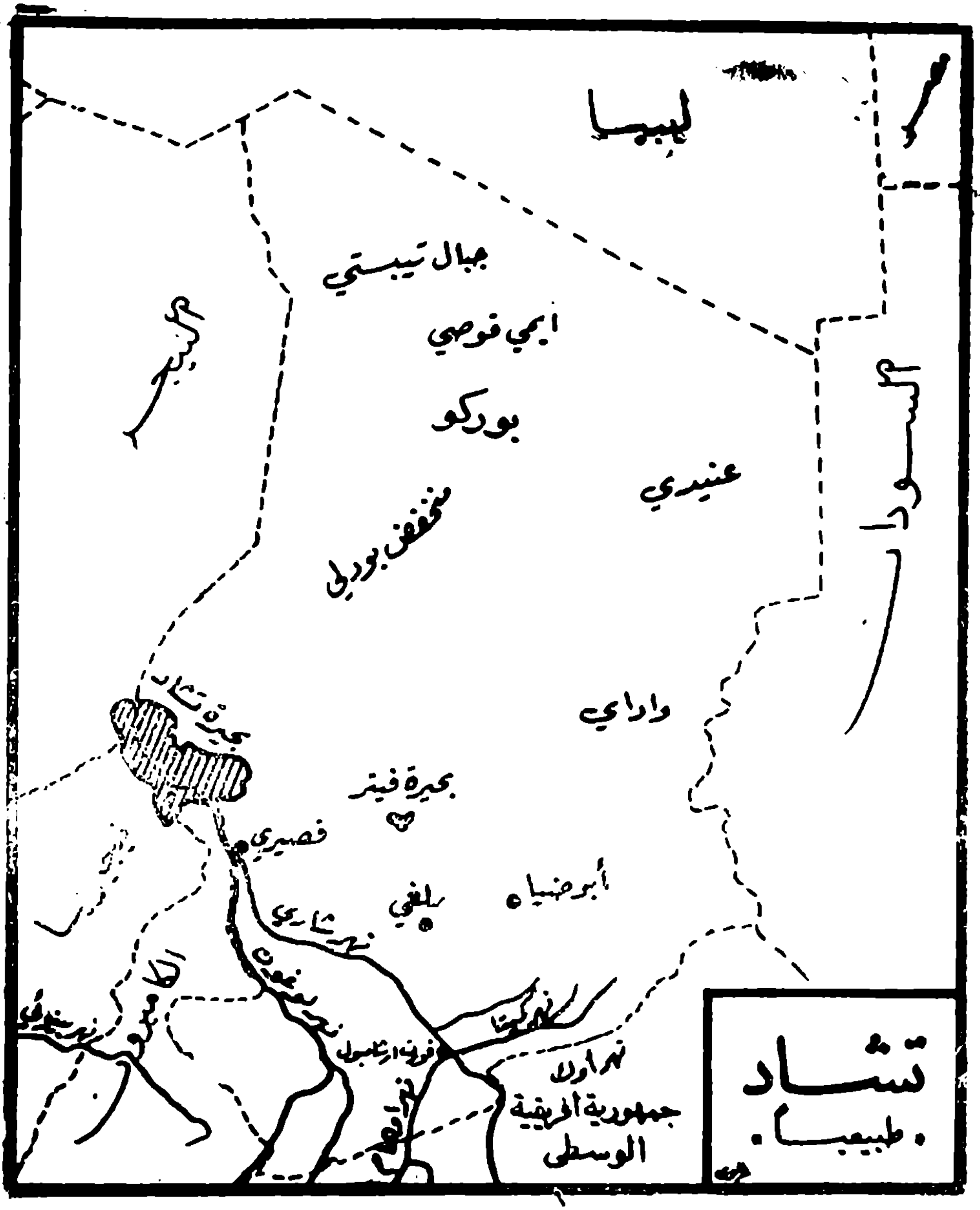
تميل أرض تشاد بشكل عام نحو الجنوب الغربي ، يدل على ذلك اتجاه المياه من مختلف الجهات نحو بحيرة تشاد التي أخذت البلاد اسمها ، وتتألف من سهل رسوبي واسع ، تحيط به المرتفعات من جميع الجهات ففي الشمال تنتصب كتلة تيبستي البركانية عند حدود ليبيا ، حيث ترتفع أكثر من ٣٤٠٠ م في إيمي قوصي ،

وفي الشرق مجموعة من الكتل منها وادّاي ، وترتفع إلى أكثر من ١٢٠٠م ، وكتلة عنيدي ، ومن الجنوب توجد كتلة ملغي - أبو ضيا ، وبين هذه الكتل عتبات تكون طريقاً للمواصلات تصل بين تشاد من جهة وليبيا والسودان وإفريقية الوسطى من جهة ثانية . أما من الجنوب فتأخذ المياه طريقها في نهري شاري ولوغون ، وكل هذه المياه تجري نحو بحيرة تشاد ، التي تقع في الجنوب الغربي وتتقاسمها مع نيجيريا وجمهورية النيجر ، وقد كانت هذه البحيرة ذات رقعة أوسع انتشاراً مما هي عليه الآن ، يدل على ذلك وجود الغضار البحيري ، وأصداف وهيا كل أسماك كانت تعيش في مياه عذبة ، ويظهر أن البحيرة كانت تمتد نحو الشمال الشرقي حتى منطقة بوركو وسفوح كتلة تيبستي ، وتشمل منخفض بودلي الذي لا يزال يتصل مع بحيرة تشاد بواسطة بحر الغزال . ويرتفع سطح البحيرة إلى ٢٧٠ م عن سطح البحر . ويظهر أن البحيرة لم تكن قديماً إلا سلسلة من البحيرات ، وحالياً نجد في الشمال الشرقي من بحيرة تشاد أماكن لا تعلو عن البحر أكثر من ٢٠٠ م . وهذه البحيرات كانت في الأصل واحدة ، ولكن هجوم الكثبان الرملية من الشمال الشرقي قد طمر أجزاء من

تلك البحيرة وقطع بينها ، ويلاحظ كثرة الاختلاف في ارتفاع سطح البحيرة بسبب قلة العمق ، حيث لا يزيد أكبر عمق عن ٥ر٤ م وغالباً ما يساوي المترين ، كما أن التبخر على سطح البحيرة شديد بسبب شدة الحرارة ، وفي حالة الفيضان تبلغ مساحة البحيرة ١٥ ألف كم٢ ، وتنقص عن ذلك في الأحوال العادية ، ونجد أنه في صيف عام ١٩١٤ م كانت مساحة البحيرة لا تزيد عن ١٠ آلاف كم٢ ، بينما هي قد اتسعت فوصلت إلى ١٨ الف كم٢ عام ١٩١٦ م ، وأكثر الضفاف تعرجاً هي الشمالية الشرقية أي منطقة كانم . وكثيراً ما تختفي البحيرة عن الأنظار بسبب النبات الذي ينتشر على أطرافها وخاصة القصب الذي يصل ارتفاعه إلى ٦ - ٨ م ، وتغطي هذه النباتات ٤/١٠ مساحة البحيرة ، أما نظام المياه فيتبع الأمطار والحرارة إذ أن التبخر يسلب ٥٠ ٪ من ماء البحيرة سنوياً ، أما الأمطار فلا تقدم إلا ١/٤ الماء المجتمع في البحيرة ، ويقدم نهرا شاري ولوغون ٣/٤ كمية المخزون في البحيرة .

والمنطقة التي كانت تغطيها البحيرة قديماً تعتبر اليوم المنطقة الخصبة في البلاد ، وهي السهل الرسوبي الذي يؤلف الجزء الجنوبي الغربي ، وتؤول إليه مياه السهول .

ويمكننا أن نقول إن البحيرة تشاد عرضة للانطمار والتقطع بسبب كثرة اللحقيات التي تحملها إليها الأنهار أثناء فيضانها ، وبسبب مهاجمة الرمال التي تحملها الرياح الشمالية الشرقية ، والتي كانت فيما مضى سبباً في تقطع البحيرة ، كما أن هناك عاملاً مهماً ، وهو ذهاب مياه نهر لوغون نحو نيجيريا عن طريق نهر بينوني ، وهذا يحدث الآن أثناء الفيضان ولكن في المستقبل ستصبح مياه نهر لوغون بأكملها تتجه نحو الغرب في كل المواسم ، وستترك طريقها نهائياً نحو بحيرة تشاد ، ويصبح نهر لوغون رافداً من روافد نهر بينوني ، يحدث هذا عندما يستطيع نهر بينوني أن يأسر نهر لوغون ، وهذا الأمر يحدث الآن تدريجياً .



تمتد البلاد من خط عرض ٨ - ٢٢ درجة شمال خط الاستواء ، وعلى هذا فهي تقع ضمن مناخي السودان والصحراء ، فالمناخ

السوداني كما هو معروف يمتد بين خطي عرض ٨ - ١٨ درجة ، والصحراوي بين خطي عرض ١٨ - ٣٠ درجة .

ويمتاز المناخ السوداني بوجود فصل جاف هو فصل الشتاء ، وفيه يتوقف نمو النباتات ، أما فصل الصيف فهو موسم المطر الذي يبلغ معدله السنوي أكثر من ٥٠ مم ، وعلى هذا تتوافق الحرارة مع الرطوبة وهو ما يلائم النمو ، فتنمو الحشائش الطويلة التي يصل ارتفاعها إلى ثلاثة أمتار والتي تعرف باسم السافانا الطويلة ، ويتناقص هذا الطول للحشائش بالتقدم نحو الشمال حيث تقل فترة المطر ، وتعرف الحشائش هناك باسم السافانا القصيرة ، أما على ضفاف الأنهار فتنمو الأشجار العالية التي تشبه إلى حد ما الغابات الاستوائية ، وإن كانت تترك بينها مسافات ترتفع فيها الحشائش . وتنصرف مياه الأمطار بعد أن تتجمع في أنهار شاري ولوغون والروافد العديدة التي ترفدهـا بالمياه ، وتتجه هذه المجاري نحو بحيرة تشاد .

أما المناخ الصحراوي فهو شمال المناخ السوداني حيث تكون قد تناقصت فترة الأمطار لدرجة أنها انعدمت ، وهنا لانجـــد أثراً للنبات اللهم إلا تلك النباتات التي قللت سطح أوراقها حتى أصبحت

أشواكاً ، ونمت عقب زخات المطر النادرة أو في مجاري السيول التي تشبعت تربتها بالمياه ، ثم هناك الواحات التي يقوم فيها الإنسان والنبات على عيون ضحلة ، أو مياه جوفية يستخرجها الإنسان .

وبلاد تشاد حارة كلها بوجه العموم ولكن ترافق هذه الحرارة رطوبة الجنوب ، وتتناقص تدريجياً نحو الشمال ، حتى تصل إلى المنطقة الجافة تماماً في الصحراء ، وليس هناك من رياح بحرية تعدل ذلك الجفاف فتكسبه شيئاً من الرطوبة ، حيث كلها شمالية شرقية جافة ، لأنها تهب من القارة ، فلا تحمل معها إلا الرمال التي استطاعت أن تقطع البحيرة ، وتفصل بين أجزائها فتكونت عدة بحيرات ، وهذه الرياح دائمة صيفاً وشتاءً وهي الشرقيات التي تهب من عروض الخيل إلى خط الإستواء ، أو من منطقة الضغط المرتفع المداري نحو منطقة الضغط المنخفض الاستوائي وبسبب دوران الأرض تنحرف في اتجاهها نحو اليمين فتصبح شمالية شرقية . والأمطار التي تهطل على الجزء الجنوبي من البلاد من نوع المطر التصاعدي حيث ترتفع درجة الحرارة في فصل الصيف بسبب تعامد أشعة الشمس على المنطقة فتسبب

المزيد من التبخر ويرتفع بخار الماء في الجو وعندما يصل إلى الطبقات العالية يتبرد فينعقد مطراً وهذه الأمطار هي سبب غنى المنطقة الجنوبية ، وسبب فيضان الأنهار في فصل الصيف ، ولا يعود دوام جريان الأنهار في الجنوب إلى هذه الأمطار الصيفية وإنما إلى ما تتلقاه في مجراها الأعلى من مياه الأمطار الدائمة في المناطق الاستوائية .

ينبع نهر شاري من جمهورية إفريقية الوسطى ، ويتلقى المياه من المرتفعات التي توزع المياه بين النيل والكونغو وشاري ، ويسير نحو الشمال الغربي وعند وصوله إلى الحدود ، ينضم إليه نهر أوك الذي يساير الحدود بين تشاد وإفريقية الوسطى ، ثم لا يلبث أن يلتقي بنهر كيتا عند مدينة فورت[1] أرشامبول ، وهذان الرافدان وكل الروافد الأخرى التي يتلقاها عن يمينه إنما هي أنهار أشبه بالسيول حيث تجري فيها المياه في فصل الصيف عقب هطول الأمطار ، أما في الشتاء فتكون أشبه بالجافة ، ولكن الأنهار التي يتلقاها عن يساره تكون دائمة الجريان حيث تمتد مجاريها العليا حتى تصل إلى المناطق الدائمة المطر ، وأهم هذه الأنهار نهر أوهام الذي يلتقي بنهر شاري عند مدينة قلعة أرشامبول .

---

(١) ـ فورت كلمة أفرنسية تعني القلعة .

وينبع نهر لوغون من جمهورية إفريقية الوسطى أيضاً ، وتأتيه مياه الأمطار الدائمة مما يمكنه الوصول إلى البحيرة ، ويشكل الحدود بين تشاد والكاميرون ، وعند مدينة قصيري[1] يلتقي بنهر شاري حيث يتابع مجراها سيره نحو بحيرة تشاد .

وفيضان نهر شاري يبدأ من مدينة فورت أرشامبول على بعد ٥٠٠ كم عن بحيرة تشاد ، ويكون هذا الفيضان بطيئاً ، ويرتفع ببطء زائد وذلك بسبب ضعف انحدار الأرض ، وعلى الرغم من أن أعظمي الأمطار يكون في شهر آب ، فإن الفيضان لايكون في منطقة الطوفان وفي البحيرة إلا في تشرين الأول ، ويمكن لمستوى الماء أن يبلغ ٧ أمتار عند مدينة قصيري على بعد ١٠٠ كم من بحيرة تشاد ، وفي هذه الفترة تنتشر المياه الفائضة في الأطراف الجافة وفي الدخلات التي هجرتها المياه منذ أمد طويل فتغرقها ، وتقلبها إلى مستنقعات واسعة تنتصب خلالها أكواخ السكان التي أقيمت على التلال والعلوات من الأرض ، فاصبحت عقب الفيضان أشبه بالجزر المبعثرة ، كما أن هذا النهر لا يبدأ

---

(١) – قصيري الاسم العربي الإسلامي لعاصمة تشاد اليوم . وهي التي عرفت بعد الاستعمار باسم فورت لامي .

فصل الجفاف إلا ويكون قـــد انقلب إلى سلسلة من الرامات والمستنقعات الصغيرة ، ويكون له دلتا واسعة مشتركة مع مياه نهر لوغون .

وكلما اتجهنا إلى الشمال كانت المجاري المائية عبارة عن سيول تجري مياهها عقب الأمطار ، ثم لا تلبث أن تجف ، وهذه السيول إما أن تغيض في الرمـال أو تصل إلى منخفض بودلي والسهل الرسوبي ، ولا تزال بعض البحيرات قائمة في المنطقة ، وتؤول إليها بعض المياه مثل بحيرة فيتر التي تقع شرق مدينة قصيري .

تاريخ تشاد

إن تاريخ منطقة تشاد يكاد يكون مجهولاً حتى الفترة التي شع فيها نور الإسلام ، حيث سطع شعاع الحضارة فجلا تاريخ تلك المنطقة ، وتوضحت معالمه ، وهكذا يبدو ، رغم معاندة الخصوم ، أن المدنية والحضارة والتقدم ، إن هي إلا ظل الإسلام تسايره حيثما انتشر، وترافقه أنى سار ، وإن حاول الخصوم أن يلصقوا به في كل مناسبة الرجعية والتأخر ، وليست هذه الحرب على الإسلام حرباً جاءت عرضاً أو أوجدتها ظروف معينة ، وإنما تخطيط لأغراض عديدة يجثم وراءها أعداء ماكرون، ويكمن خلفها خصوم مخادعون يعرفون بأعمالهم الدنيئة ، وتشير اليهم أفعالهم الحقيرة ، ويظهر هؤلاء الخصوم بأثواب متعددة :

(١) — المستشرقون وهم غالباً من أصحاب عقيدة أخرى ، يدفعهم إلى ذلك تعصبهم الشديد ، وأطماعهم الاستعمارية، فيلصقون

به كل تهمة ، وينعتون به كل ذميمة ، تنشر أقوالهم ، وآراءهم دولهم الاستعمارية ، وتوزعها في جميع أرجاء العالم ، بما تملك من امكانات ضخمة ، فتعم تلك الأفكار ، وبخاصة بين أولئك الذين لا ينظرون إلى النور إلا من رجل الغرب .

(٢) - عملاء : باعوا أنفسهم وضمائرهم لدول أجنبية ، فلا يتكلمون إلا بوحي منها ، ولا ينطقون إلا بما تمليه عليهم أقلامها وأخبارها « ومن يتولهم منكم فإنه منهم » المائدة ٥٤ .

(٣) - منحرفون : أغوتهم الشهوة ، فأضلت عقولهم ، وسلبت تفكيرهم ، فلا يبحثون إلا عن الجنس ، وهؤلاء يقفون دائماً ضد الإسلام الذي يمنعهم أن يطلقوا العنان لشهواتهم تفتك بأعراض الآخرين ، وتنهش حرمات غيرهم ، فالإسلام يقيد حريتهم ، ويجعلها تقف إذا مست حريات الآخرين أو حرماتهم ، ويعرفهم أن الحرية المطلقة ، لا وجود لها ، لأن الحرية المطلقة معناها انقلاب الحياة إلى حياة بهيمية ، وهم يدعون فعلاً إلى التحرر من كل القيود الدينية والأخلاقية ، كما ينادون بالبعد عن كل فضيلة جاء بها الدين ؛ ويسيطر هؤلاء على جزء من الصحف والمجلات ، ويشرفون على برامج إذاعية وتلفزيونية ، فينشرون أفكارهم من

خلالها ، فيتلقفها أصحـــاب النفوس الضعيفة التي تأمرهم بالسوء والفحشاء فينقادون لها « إن النفس لأمارة بالسوء » يوسف ٥٣ .
« أرأيت من اتخذ إلهه هواه » الفرقان ٤٣ .

(٤) – كبار أغوتهم الشهرة ، فلا يفكرون إلا بالسلطان ، ولا يتطلعون إلا للسيطرة ، وهؤلاء يحاربون الإسلام الذي يقف أمام أطماعهم وطواغيتهم ، ويحارب استبدادهم .

ويمكن أن نضيف إلى هؤلاء جماعة من البلهاء ضعاف النفوس الذين لا يفكرون ، وإنما يكتفون بترديد ما يردد الناس أمامهم ، ويتأثرون بما تنطق أجهزة الاعلام ومناهج التعليم الموجهة ، التي لا تبحث إلا بما يريده أصحاب الهوى .

ثم هناك الجهلاء الذين لا يعلمون شيئاً ويسيرون كيفما يؤمرون، وأخيراً الأعداء الذين يظهرون في ثياب الأولياء يحاولون خداع الناس بما يظهرون وهم في حقيقتهم أعداء ماكرون .

هؤلاء جميعاً يلتقون على محاربة الإسلام ، ولكنهم لا يجرؤون مطلقاً على التصريح بآرائهم مباشرة لأن هذا يثير حفيظة المسلمين ، ورغم أن أكثر المسلمين اليوم قد أصبحوا مسلمين نظرياً إلا أن العقيدة تتحرك في نفوسهم ، والتدين فطرة في الإنسان ، لذلك

يسلك الأعداء طريقاً ملتوية لمحاربة الإسلام ، تخفى على البلهاء فيصدقونها ، وتظهر لأولي الألباب فيمقتونها ، هذه الطريق هي أن يحاربوا أصحاب الفكرة الإسلامية وهم موجودون بطبيعة الحال كرد فعل لتلك الفئات التي ذكرناها آنفاً ، والمعركة قائمة بين الحق والباطل منذ أن خلق الله الأرض ومن عليها ، ولا يزول الحق ما دام هناك باطل ، لذلك لا يمكن أن تزول الحركة الإسلامية حتى ولو زال خصومها « إنا نحن نزلنا الذكر وإنا له لحافظون » والأعداء يعرفون ذلك ويريدون أن يسيطر الباطل وينتصر على الحق ، ولكن محاربة الحق قاسية ، ولا يجرؤ الباطل على إظهار نفسه فيلبس ثوباً يتراءى على غير حقيقته لضعاف الإيمان ، فيخدعهم ، ويدعي الأعداء أنهم لا يحاربون الإسلام بل يزعمون أنهم مسلمون ، وإنما يحاربون الفئة الإسلامية من ناحية سياسية ، ويحاولون أن يظهروا أصحابها وقادتها بكل مظهر سيء ، وينعتون إليهم كل موقف فيه عدم الاخلاص ، كما ينعتون كل إنسان يظهر التدين أو يعطف على المسلمين بصفته السياسية « ومـا نقموا منهم إلا أن يؤمنوا بالله العزيز الحميد » وذلك حتى يبعدوه عن الإسلام دون أن يشعر ، ولكن شباكهم لا تنال إلا ضعيف الايمان

أو عديم التفكير ، لأن المسلم الصحيح لا يبالي بأي شيء ، ما دام يعرف نفسه أنه على حق ، وعندما تعجز دعايتهم أمام قوة المسلمين ، تبدأ الأبواق تكيل لهم التهم ، وهنا تكون التجربة ، وهنا تكون المحنة ، فإما أن يضعف الانسان ويجبن ، ويسير مع التيار ، وتكون له العاقبة الوخيمة ، – والعياذ بالله – وإما أن يثبت ويزداد قوة على قوته ، ويكون له حسن الدار مع الصديقين والشهداء وحسن أولئك رفيقاً .

ونتيجة لهذه الحرب الضارية ضد الإسلام ، وسيطرة الأعداء على أهم المرافق نشأ جيل لا يعرف من الإسلام شيئاً ، وهذا ما يسهل على الأعداء تلقف هؤلاء الجهلاء والسير بهم إلى حيث يشاؤون .

عاش العرب في جزيرتهم تجاراً ، ولما دخلوا في الاسلام انطلقوا مجاهدين في سبيل الله ، فتمت على أيديهم الفتوحات ، حتى إذا ركدت ، واستقر الفاتحون في أماكنهم التي وصلوا إليها ، عادوا إلى مزاولة مهنتهم الأولى وهي التجارة ، وخاصة أولئك الذين قطنوا إفريقية ، ورأوا بيئة تشبه البيئة التي خرجوا منها ، وتلازمت التجارة والدعوة ، وإذا كانت الفتوحات قد ركدت ، فإن

الدعوة لم تهدأ في قلوب أولئك الذين وهبوا أنفسهم لله ، وخرجوا من ديارهم في سبيله ، وإذا كانت الفتوحات الكبرى قد ارتبطت بالسياسة العامة ورأي الدولة ، فإن الدعوة رهينة بالنفوس ، مرتبطة بالضمائر التي لا تلبث أن تثور إن رأت في صاحبها شيئاً من الفتور ، ومرت طلائع الدعوة مع التجار ، الذين لم يكونوا تجار مادة ، وإنما كانوا دعاة ، يتخذون من التجارة مجالاً للاتصال بالأفراد ، وباباً لاظهار حقيقة الاسلام أمام أولئك الذين يجهلونه ، وطريقاً لتبيان خلق المسلم ومعاملته وأمانته وسماحته أمام أولئك الذين لا يعرفونه ، وما كانت العلاقة تتم بين التاجر المسلم وسكان منطقة ، حتى تتوثق العلاقة بين القلوب ، وإذا بنداء الايمان ، يخرج من الأعماق ، فتستجيب له ، وتلبي دعوة الله ، واذا بها ترتبط بمكة مهبط الوحي ومنبت محمد ﷺ ، وإذا بينها وبين كل مسلم في أرجاء الأرض صلة وثيقة ، لا تزول إن زالت الصلات ، وتفككت الأواصر .

وكثرت طرق التجارة في الصحراء ، وتغلغل أولئك الدعاة في قلب هذه المنطقة القفراء ، يجدون في السير ، ويطلبون

هداية الناس على أيديهم ، وتم اعتناق جماعات من سكان الصحراء للدين الجديد .

كانت هناك أحداث جسام تهز المجتمع الإسلامي في كيانه ، وكان إثر كل حادث ينطلق رجال حط القدر من مكانتهم ، ينطلقون متخفين من السيف الذي يطلب رؤوسهم ، ويمعنون في البعد ، يريدون المنأى والأمان وعندما تحط بهم الرحال تتوق نفوسهم لإعادة ما فقدوه ، ولم لا ؟ وقد ضربوا أكباد الابل ، وشقوا على أنفسهم عناء السفر والتخفي ، وما يفعل ذلك إلا أولو البأس والشدة ، وهم أهل للحكم ، ولم لا ؟ وهم أبناء الأمر التي دكت عروشها ، وقد صار إليها العز لكفاءتها ، وليس غريباً أن يفكر في السلطة من كان لها أهلاً . وإثر كل حادث تنطلق أعداد من الرجال ، أو تنتقل قبائل بأكملها ، تفر من وجه من هو أقوى منها بأساً ، وأشد مراساً ، وما أكثر الأحداث التي مرت على المجتمع الإسلامي .

دخلت قبائل بني هلال المغرب ، ففرت من وجهها قبائل توغلت في الصحراء ، وقامت دولة الموحدين ، فترك لهم أسلافهم المرابطون المنطقة ويمموا وجههم نحو الجنوب . وسقطت الدولة

الفاطمية في مصر ، فاتجه أنصارها نحو السودان . وسقطت دولة العباسيين في بغداد ، ومن قبلها انهار الأمويون في دمشق ففر الاتباع يطلبون النجاة ، واستولى الاسبان على الأندلس ثم على ثغور المغرب ؛ فخاف الناس وذهبت كل قبيلة تطلب لها منزلاً في البيداء . وعقب كل حادث ينتشر الإسلام من جديد على أيادي النازحين ، وكان الاسلام إذا أصابته ضربة في الشمال ، استعاض عنها بنصر في الجنوب .

ويتوصل بعض النازحين إلى السلطان ، أو يسلم بعض زعماء القبائل ، وفي كلتا الحالتين يتبنى الأمير الدعوة إلى الله ويعمل لنشر الإسلام ، ولم يمض وقت طويل حتى تتكاثر الحفنة المؤمنة ، فتهفو نفوسهم إلى تكوين ذلك المجتمع المسلم ، الذي يعدهم به الإسلام ، وترنو أفئدتهم إلى تكوين تلك الدولة التي يدفعهم إليها الايمان ، والتي يحلم بها كل إنسان ، حيث لا فرق بين الألوان ، ولا تمييز بين الأجناس ، ولا تفضيل في المراكز ، لا تشاحن ولا بغضاء ، لا تنازع ولا فروق ، لا ظلم ولا اغتصاب ، يعيش المرء ويشعر أنه يعيش بين ظهراني إنسانية حقة ، لا بين مخالب وأنياب ، ووحوش وذئاب ، فتهنأ النفوس ،

وتطمئن القلوب ، وتعرف السعادة التي يحلم بها بنو البشر ، لذلك استعد المسلمون ، فأقاموا عدة ممالك إسلامية في تشاد كان أهمها :

(١) ـ مملكة كانم : ومركز هذه المملكة شمال شرقي بحيرة تشاد ، وقد حكم هذه المملكة أسرة سيف من عام ٨٠٠ ـ ١٨١٠ ، وقد ظلت هذه المملكة فترة على الوثنية ، وتعتبر هـذه الفترة من التاريخ غامضة تمامـاً ، وقد دخل إليهـا الإسلام في أواخر القرن الحادي عشر ، وكان أول الأمراء الذين اعتنقوا الإسلام يدعى (أوم) ، وقد حكم البلاد بين ١٠٨٦ ـ ١٠٩٧ م ، وفي عهد الملوك الملقبين (ماي) وهم الذين خلفوا الملك (أوم) ، انتشر الإسلام في عهدهم انتشاراً واسعاً ، وذلك بعد انتصارات حربية على الشعوب الوثنية ، وهي شعوب (تيـــدا) في الشمال ، و (صوص) في الجنوب ، وقد شملت هـذه المملكة بلاداً كثيرة ، فقد كانت تمتد هذه المملكة من النيجر غرباً ، وتضم جزءاً من بلاد الحوصا ، وتصل إلى منطقـة وادّاي شرقاً ، كما شملت كافـة الصحراء التي استعانوا على فتحها بحـكام تونس من الحفصيين .

وفي عام ١٣٨٦ م عمـد قوم (بولالا) وهم أخـلاط من

العرب ومن التشاديين إلى إسقاط حكم هذه المملكة ، وبقيت الحرب قائمة بين الطرفين حتى أوائل القرن الخامس عشر ، قتل خلالها أربعة ملوك لدولة كانم ، وأخيراً هرب حكامها إلى بورنو غرب بحيرة تشاد وشرق بلاد الحوصا ، وهنا أسسوا لهم مملكة جديدة كان من أهم قبائلها الكانوري ، وهم خليط من العرب والبربر والزنوج ، وفي منتصف القرن الخامس عشر استطاع علي دوناما الذي حكم ١٤٧٢ - ١٥٠٤ م أن يهاجم البولالا ، وأن يعود إلى كانم ، وابتدأ الازدهار لهذه المملكة مرة أخرى في أيام الملك إدريس الثالث الذي يعرف باسم ادريس الونة ، وقد حكم البلاد ١٥٧١ - ١٦٠٣ م ، وقد وسع حدود المملكة ، ومنذ ذلك الوقت تعرف هذه المملكة باسم مملكة كانم .

وأخيراً تدهور الحكم ، وفي هذه الأثناء هاجمت قبائل الفولاني بزعامة عثمان دانفوديو[1] واحتلت بورنو ، وأصبحت بلاد الحوصا

---

(١) - يعتبر عثمان دانفوديو أحد دعاة الإسلام وكذا كان أحفاده من بعده ، منهم المرحوم أحمد وبيللو الذي قتل بالمؤامرة الصليبية الصهيونية في مطلع عام ١٩٦٦م، أما عثمان فقد توفي في سنة ١٨١٦م، وقبره في مدينة سوكوتو ، وقسمت مملكته بين ولديه .

كلها تحت حكمه ، وقد فرض الإسلام على القبائل الوثنية . واستدعى أهل كانم الشيخ محمد الأمين الكانمي عام ١٨١٠ م ، وهو من أب عربي وأم كانمية ، وقد ولد في فزان جنوب ليبيا ، فتولى الحكم وأنهى حكم أسرة سيف ، ووقف في وجه قبائل الفولاني ، وصد هجومهم ، وبنى عاصمة له في كوكا ، وسار في البلاد سيرة حميدة ، ساعده على ذلك معرفته بالشريعة الإسلامية التي تلقى علومها في الأزهر في بلاد مصر . ولكن الأمر لم يطل فقد عاد الضعف إلى الحكم ، واستطاع الأمير رابح مولى الزبير باشا أن يدخل البلاد ، كما استطاع دخول منطقة بورنو . وبقي في الحكم حتى عام ١٩٠٠ م ، حيث جاء الفرنسيون،واحتلوا المنطقة .

وأهل كانم على المذهب المالكي ، يتعاملون بالقماش الذي ينسجونه في بلادهم ، ويعرف باسم دندي ، أما جندهم فيتلثمون ، ولا يرون ملكهم إلا أيام العيد ، ولا يكلمه أحد إلا من وراء حجاب .

(٢) ـ مملكة وادّاي : لقد تأخر دخول الإسلام إلى هذه المنطقة بسبب وعورتها ، فأمكن للفئات غير الإسلامية أن تعتصم فيها ، كما أن الأسرة الحاكمة قد بقيت على الوثنية حتى القرن

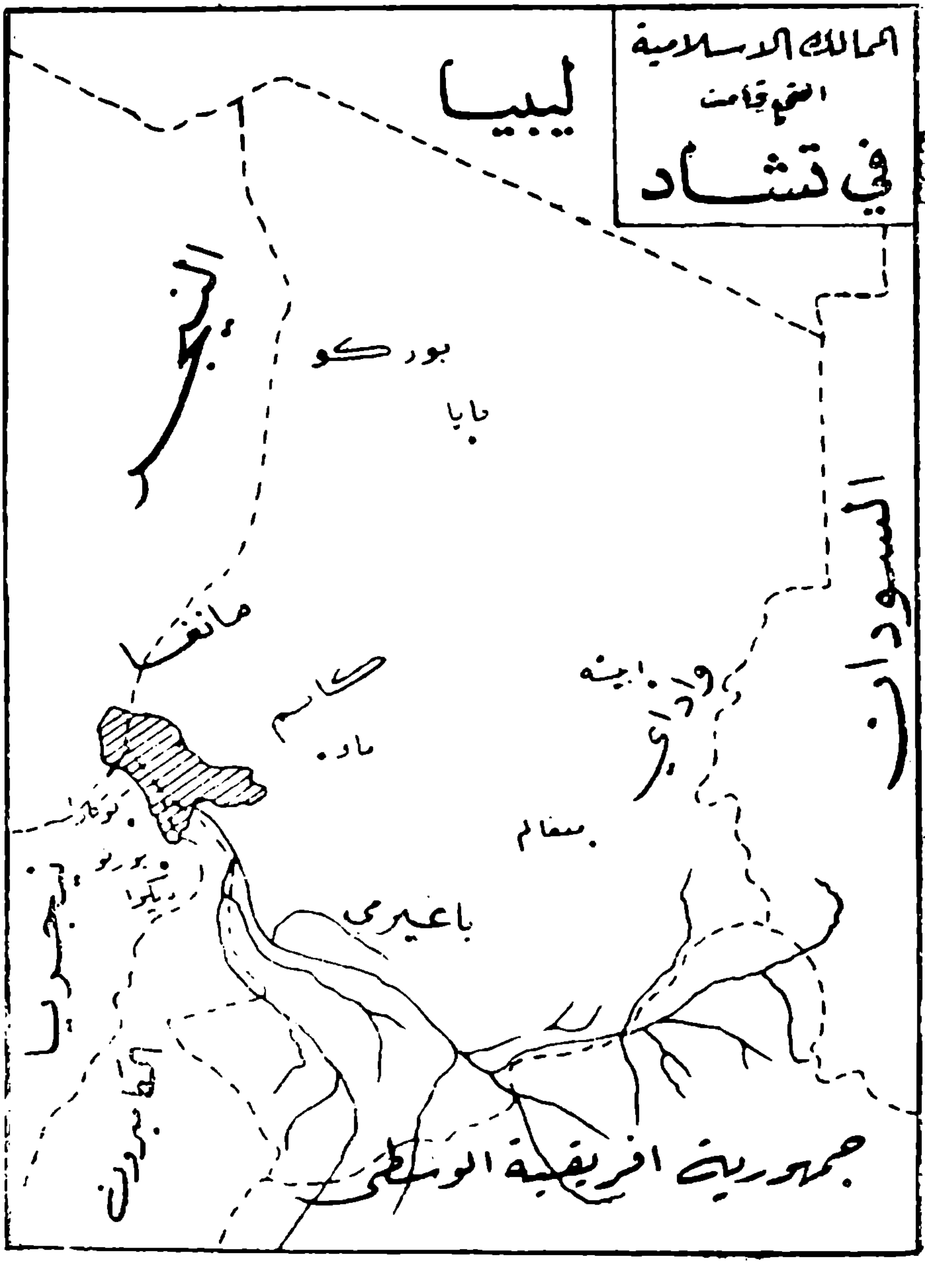
السادس عشر ، وهذه الأسرة هي التنجور ، وقد جاءت من جنوب تونس ، بعد أن دخلتها قبائل بني هلال ، ووصلت دار فور وهي منطقة منعزلة في السودان ، واختلطت فيها بشعب الداجو الأسود الذي جاء من المشرق ، وسيطر على المنطقة ، وأسس مُلكاً له فيها ، ونشأ من اختلاط التنجور والداجو شعب جديد هو الفور ، ثم طردت قبيلة التنجور من البلاد ، فاتجهت نحو الغرب ، وسيطرت على منطقة وادّاي ، وبقيت فيها حتى دخلها الإسلام .

إن أول الملوك المسلمين هو السلطان عبد الكريم ، وهو من أب سوداني من بلدة شندي شمال الخرطوم وقد حل ضيفاً ، وصارت له الكلمة ، ثم أصبح سلطاناً على المنطقة عام ١٦١٢م ، وتولى بعده ابنه عروة الذي أسس مدينة جديدة جعلها مركز حكمه ، ثم انتقل مركز المنطقة إلى أبيشه ، وقد كانت هذه المملكة تخضع لسلطان دارفور ، ولكنها استقلت عنها نهائياً في أواخر القرن السابع عشر ، وقد خمل ذكر هذه المملكة ، ولكنها عادت للازدهار في عهد الملك صابون عام (١٨٠٥- ١٨١٥م) ، وتولى بعده أخوه محمد شريف صالح ، ثم ابنه علي ، فقويت

الدولة ، وتنشطت مرافقها ، ثم حدث نزاع بين أفراد الأسرة ، وتدخل الفرنسيون لنصرة أحد الأطراف .

(٣) - مملكة باغيرمي : وقد تأخر دخول الإسلام إليها بسبب الموقع البعيد عن المؤثرات الشمالية التي جاء منها الإسلام ، وأول السلاطين المسلمين هو السلطان بريمي ، ولعله محرف عن إبراهيم ، وقد كان حكمه في أوائل القرن السادس عشر .... ازدهرت هذه المملكة في عهد السلطان الحاج محمود الأمين (١٧٥١م - ١٧٨٥م) ، وفي عهد هذا الملك عم الإسلام بلاد باغيرمي كافة ، وفي عام ١٨٠٦م خضعت هذه المملكة لسلطان وادّاي ، ثم ضمها الشيخ محمد الأمين الكانمي إلى مملكته ، ولكن عادت لها قوتها عام ١٨٤٦م ، ولم يلبث أن هاجمها ملك وادّاي عام ١٨٧٠م ، وأخيراً ضمها الأمير رابح إلى سلطانه عام ١٨٩٢م ، وبقيت تحت حكمه حتى جاء الفرنسيون ودخلوها عام ١٩٠٠م .

ومن هذه الممالك أيضاً مملكة مانغا شمال غربي بحيرة تشاد .


الممالك الإسلامية التي قامت
في تشاد
ليبيا
النيجر
بوركو
السودان
كانم
وادي
باغيرمي
جمهورية افريقية الوسطى

ولا بد هنا من ذكر لمحة عن الأمير رابح الذي لعب دوراً كبيراً في هذه المنطقة .

كانت تجارة العاج في القرن التاسع عشر معروفة في مصر ، بل لتعتبر من أوسع وأنشط أنواع التجارة هناك ، وهذا ما حدا بكثير من التجار أن يتجهوا نحو الجنوب ، ويتوغلوا في غابات جنوب السودان طلباً لهذا النوع من البضاعة ، ولصيد أنواع أخرى من الحيوانات ، منها الفيلة والجواميس وكان لا بد من ذهاب هؤلاء التجار على شكل جماعات مسلحة ، لتقي نفسها من هجمات القبائل ولتدفع عنها خطر الوحوش ، وكانت الخيل واسطة نقل هذه الجماعات ، وكان كل تاجر يبني لنفسه كوخاً من أغصان الشجر ، يختص فيه ، ويعرف باسمه ، يجمع فيه ما اصطاد ، ويكدس ما جمع . وكان يعمل مع أحد هؤلاء التجار ـ ويدعى أبو عموري ـ شاب طويل القامة ، فصيح اللسان ، ميال للخير ، قوي الإيمان ، متحمس للإسلام ، يعرف باسم الزبير .

وفي عام ١٨٥٧ م ثارت بعض قبائل الجنوب الزنجية على التجار المسلمين ، وهاجمت مراكزهم وأكواخهم ، وكادت تقضي عليهم ، وهنا تظهر بطولة الزبير الذى استطاع أن يقف في وجه الزنوج

ويصدهم ، فاحتمى به التجار ولاذوا به ، وقدموه عليهم ، حتى إذا هدأت الحال ، ذاع صيت الزبير ، وطارت شهرته ، وأصبح من التجار المرموقين ، وبدأ في أعماله التجارية يتنقل بين الشمال والجنوب ، ويختلط بالسكان ، ويكثر من معاملاته ، فأحبه الناس لإيمانه واستقامته وورعه وتقواه ، وتزوج من قبائل الجنوب ، ولم تكن له غاية في الزواج ، ولكن كان أمله كبيراً في أن يقضي على الوثنية في الجنوب ، واتخذ من زواجه وسيلة ليعرفهم بالإسلام ، وعن طريق زوجته التي أسلمت - ولا يعرف صفة المرء مخلوق أكثر من زوجته - كما سلك طريقاً أخرى وهي أنه كان يفتدي أولئك الذين حكم عليهم ملوكهم بالقتل ، ويضمهم إلى جنده ، كما يجمع الجنود من المرتزقة ، ويربي الجميع تربية إسلامية ، ويخصهم بالعناية دون سواهم ، مما جعل خاصته يفدونه بأرواحهم ، وكم حاول المستعمرون والزنوج أن يتخلصوا من هذا الداعية المسلم ، فلم يفلحوا لثقته بالله واعتماده عليه ثم على جنده الذين أولوه كل محبة وتقدير .

ولكثرة الشائعات المغرضة بدأ التخوف من الزبير ، وبدأت الخصومات تقع بينه وبين أطراف أخرى شجّعها المبشرون ،

وأوقد نارها الحاقدون ، وحصل صدام بين الزبير وبين قبائل نيام نيام ، ثم وقع نزاع بينه وبين ملك قولو ، وفيه انتصر الزبير الذي لم يجد بداً من أن يعلن نفسه ملكاً على بحر الغزال ، واتخذ من بلدة باية مقراً له وعرفت فيما بعد باسم دويم الزبير ، وتقع في أقصى جنوب غرب السودان قريبة من حدود جمهورية إفريقية الوسطى .

كيف لا ينتصر والله غايته في كل أمر يقوم به ، وفي أي عمل يفكر فيه . جلس الزبير على سدة الحكم ، وبدأ بحكم مملكته بالكتاب والسنة ، وألف مجلساً للشورى من إثني عشر قاضياً ، بعد أن أخذ عليهم عهداً أن يقدموا له النصح والإرشاد ، وأن يردوه عن أي عمل يخالف كتاب الله وسنة رسوله ، وبدأت الحملات تشن عليه من مختلف الجهات الاستعمارية والتبشيرية ، وليس هذا غريباً فهذا شأن الدعوة الإسلامية في كل زمان ومكان حيث لا يمكنها أن تتعايش مع الدعوات الإلحادية التي تتناقض في جوهرها ومبدئها معها ، واليوم نسمع كثيراً من هذه الإشاعات والأكاذيب عن الحركة الإسلامية أينما وجدت ، يطلقها المستعمرون ويرددها وراءهم المنحرفون ، وأشاع المبشرون أنه يعمل نخاساً ،

وما مقاومتهم له إلا في سبيل القضاء على النخاسة والرقيق : قرأ الزبير في كتاب الله : (وما لكم لا تقاتلون في سبيل الله والمستضعفين من الرجال والنساء والولدان الذين يقولون ربنا أخرجنا من هذه القرية الظالم أهلها)[1] فأخذ على نفسه عهداً بالجهاد في سبيل الله لإنقاذ المستضعفين .

فتح الزبير دار فور وبلاد قبائل الزرقيات ، وبدأ يطبق فيها ما طبقه في بحر الغزال من حكم للإسلام وتنفيذ لشرعه . ثم اتجه نحو تشاد وطلب من ملك واداي أن يستسلم ، وهنا يأتيه الطلب من خديوي مصر أن يعود ، ففعل ، وكانت المنطقة تتبع بأكملها مصر إسمياً ، وكانت الفتوحات كلها باسم مصر ، وإن كان المنفذ والمشرف والحاكم هو الزبير ، ومصر بدورها تتبع الخلافة الإسلامية أنذاك وهي الدولة العثمانية ، ولا يصح أن تكون خلافتان في أرض الاسلام .

وقع خلاف بين الزبير وبين إسماعيل أيوب حاكم السودان ، أضرم ناره الحاسدون ، فاضطر الزبير أن يذهب إلى مصر لمقابلة الخديوي ، بعد أن ترك مكانه ابنه سليمان مع فئة من القادة

---

(١) النساء الآية ٧٤ .

الخاصين منهم الأمير رابح ، وبعد مقابلة الخديوى أذن له بالعودة ، ثم عدل عن رأيه تحت ضغط الإنكليز ، فأرسله للحرب ضد الروس ، الذين كانوا يغيرون على الدولة العثمانية ، وبنهاية الحرب رجع إلى مصر ، فوجد الدسائس تحاك ضده ، ووجهت إليه التهم أنه يتعاون مع المهديين ، فاعتقل ونفي إلى جبل طارق ، وبقي هناك عامين ونصف العام تحت إشراف الانكليز وبصرهم ، وبعد انقضاء المدة عاد إلى مصر ، وبقي فيها حتى مات عـــام ١٩١٤م ، ولكنه قام بزيارة عابرة للسودان بعد أن انتهت الحركة المهدية ، وليس غريباً ما حدث للزبير فأصحاب الدعوات معرّضون في كل زمن للمحن والامتحان ، والمصائب والبلاء . ولم يكن هـذا ليثني الزبير عن عزمه ، بل بقي في حماسه يتحمل المشاق ، وكلما حلت به نازلة زادته إيماناً ، فالانسان الذي لا يتحمل التبعات في سبيل فكرته ليس بصاحب دعوة ، وأولاها بذلك الدعوة الاسلامية « حفت الجنة بالمكاره وحفت النار بالشهوات » .

أما ابنه سليمان وإخوانه فقد تعرضوا أيضاً للمؤامرات الصليبية الاستعمارية التي مافتئت تقف في وجه التيار الاسلامي فلم تفلح ، فما كان منها إلا أن ضغطت على أبيه الزبير في مصر فكتب

إليه ينصحه بالاستسلام ، بعد أن ضمن من الأعـداء له الأمان ، ولكن الغدر من شيم الحاقدين ، فقتلوا سليمان مع سبعمائة من أتباعه في ١٤ تموز ١٨٧٩م ، ولما رأى الأمير رابح ما حل باخوانه ، سار نحو تشاد في ألف فارس ، واستطاع أن يفتح منطقة واداي ، وأن يصل إلى جنوب بحيرة تشـاد ، وأن يقيم في ديكوا [١] حكومة اسلامية ، تسير حسب الشريعة الإسلامية ، وضـم إليه مملكة باغيرمي ١٨٩٢م كما ضم كانم وبورنو ، وكانت قد قامت الثورة المهدية في السودان ، فأرسل إليه المهدي الرسالة تـلو الأخرى يعرض عليه الانضمام للحركة المهدية ما دام الهدف واحداً ، وهو تطبيق الاسلام ، والسير على نهجه ، ومقارعـة الاستعمار . ولكن الأمير رابـح كان سيىء النية بأوضاع السودان ، فاكتفى بتأييد الحركة المهدية ورفع شعارها وهو « لا إله إلا الله والله أكـبر ولله الحمد » ولم تطل فترة حكم الأمير رابح حتى ابتدأت المعارك مع الفرنسيين وكان هذا طبيعياً لأن القوى الصليبية الاستعمارية

---

(١) ـ ديكوا مدينة تقع اليوم في شمال شرق نيجيريا وفي غرب مدينة قصيري على بعد يقدر بـ ٢٠٠ كم ، وهذا يدل على أن الحـدود ليست كما هي اليوم وإنما كانت دولة واحدة ...

لا يمكن أن تنتظر الدعوة الإسلامية حتى تتمكن ، ولا تمهل دولة تقوم على الإسلام ، فما استقرت حكومة الأمير رابح الإسلامية حتى جن جنون المستعمرين والمبشرين وطار صوابهم ، وأرسل الفرنسيون الحملة تلو الأخرى ، ولما لم تفلح أرسلوا ثلاث حملات بقيادة القائد الفرنسي لا مي الذي قتل في إحدى المعارك على أبواب مدينة قصيري ، أما الأمير رابح فقد جرح ، ثم توفي متأثراً بجراحه عام ١٩٠٠ ، وتولى ابنه فضل الله بعده ، وإن انتصر على الفرنسيين في بعض المعارك إلا أنه قتل في النهاية ، واستطاع الفرنسيون دخول تشاد عام ١٩٠٩ ، ولكن المقاومة بقيت ، وأخيراً استطاعت فرنسا الانتصار على المقاومة في معركة عين جالا عام ١٩١١ ، وهنا يظهر حقد الاوربيين على الاسلام ، لا على غيره ، وهدفهم هو لا سواه ، فكان أول عمل قام به الفرنسيون أن جمعوا علماء المسلمين الذين يمكن أن يلتف حولهم الشعب ، وقضوا عليهم في مذبحة رهيبة ، عرفت باسم مذبحة كبكب ، حيث كان القتل بالساطور ، ايروي الفرنسيون غليلهم ، وكان عدد هؤلاء العلماء أربعمائة عالم ، جمعوا من أنحاء البلاد كافة ، وسيقوا إلى مدينة ابيشة ، وهناك كان مصرعهم عام ١٩١٧ ، ولم تستطع

فرنسا من السيطرة على المناطق الشمالية إلا عام ١٩٣٠ حيث اتخذت ثكنات عسكرية في « زوار » و « فور » و « أوزو » . ثم تتبعوا أئمة المساجد ومعلمي القرآن حتى أخرجوهم من البلاد ، وواضح أن في هذه المذبحة من الخسة والدناءة ما يعطينا الدليل على أن الحرب الدائرة اليوم ليست سوى حرب صليبية تتستر باسم الاستعمار والمصالح الاقتصادية . وتخليداً لهذا الحقد ، وذكرى للقائد الفرنسي المقتول ، فقد استبدلت البلدة التي قتل بها القائد الفرنسي وهي قصيرى اسمها ، وأخذت اسم قلعة لامي (فورت لامي) وجعلت عاصمة المنطقة ، ورغم زوال الاستعمار فلم يعد لهذه البلدة اسمها القديم ، ولم تستبدل الاسم الحاقد بعد .

وهكذا نجد أن الاسلام انتشر في تشاد عن طريق التجارة والحكومات والأمراء .

كما أن العثمانيين كان لهم بعض الأثر ؛ ولا تزال القلاع العثمانية ماثلة إلى الآن في شمال البلاد ، مثل فايا وغوداية و... وكما أن هناك طرقاً أخرى انتشر فيها الإسلام وهي الطرق الصوفيه والدعوات والأفراد .

فالدعوة السنوسية ساهمت في نشر الاسلام ، فقد استوطن

أفراد من السنوسيين في واحات الصحراء . وخاصة في منطقة واداي وزاد عددهم بشكل واسع ، لقد كانوا يشترون العبيد ، ويرسلونهم إلى واحة جغبوب[1] وهناك يتعلمون مبادىء الدعوة فإذا أخذوا كفايتهم من العلم ، أعتقوهم ، وأعادوهم إلى أوطانهم ، كي ينشروا الإسلام بين إخوانهم ، كما بذلوا جهداً ليدخلوا في الإسلام قبيلة بيلي التي تسكن بلاد عنيدي الجبلية شرق بوركو وكانت لا تزال على الوثنية ، كما نشطوا عندما نزلوا في شعب تيدا في بلاد تيبستي فقد نجحوا في تعليمهم الإسلام ، بعد أن كانوا مسلمين نظرياً ، وفي عام ١٨٨٤ كان للسنوسيين أكثر من مائة رباط[2] محصن

---

(١) ـ واحة تقع في الجزء الشمالي الشرقي من ليبيا قريبة من حدود مصر ، وقد كان استقرار محمد بن علي السنوسي (١٧٨٧ ـ ١٨٥٩) مؤسس الدعوة السنوسية فيها ، بعد أن منعه الفرنسيون من دخول الجزائر عام ١٨٣٧ .

(٢) ـ الرباط هو المكان الذي يتحصن فيه المجاهدون في سبيل الله على الثغور ، ومنه تخرج الغزوات ، والرباط مأخوذة من قوله تعالى « وأعدوا لهم ما استطعتم من قوة ومن رباط الخيل ترهبون به عدو الله وعدوكم » ثم أصبحت هذه الكلمة تقال لكل مكان يقصد منه الجهاد سواء الغزو ، أو الدعوة ،فيعتبر السنوسيون مركزهم « رباطاً » يدعون فيه إلى الإسلام .

وبشكل خاص من غورو إلى بوركو ، وفي منطقة عنيدي ، وتيبستي ، ومن فايا إلى كانم .

كما أن بقية الطرق لعبت دورها ، ولها أتباعها مثل التيجانية والقادرية والمرغنية ، وإن كانت دون السنوسية بكثير ، وخاصة أن السنوسية كانت لها حتى عهد قريب حكومة من خلفها تتبناها وتدعمها ، وهي ليبيا التي لها فضل في نشر الإسلام في إفريقية .

تقع تشاد في وسط إفريقية ، في منطقة كانت ملتقى للأجناس من العرب والبربر والزنوج ، فمن جهة الشمال انحدر العرب والبربر يحملون معهم رسالة الإسلام واللغة العربية ، ومن الجنوب جاء الزنوج ينتشرون نحو الشمال ، وهكذا كان الشعب التشادي مزيجاً من الساميين والحاميين وخليطاً من البيض والسود ، كما التقى في تلك البقعة المسلمون بالوثنيين ، وساهمت التجارة في زيادة الاحتكاك حيث كانت تشاد مركزاً لالتقاء القوافل والطرق التجارية من الشمال والغرب والشرق والجنوب ، وأخيراً جاء المستعمر وجاءت معه ديانته .

تزداد نسبة العرب والبربر في الشمال ويقلون في الجنوب ،

حيث يكثر الزنوج جنوب خط عرض ١٢ ، وكذا فإن الإسلام الذي يؤلف نسبة كبيرة ، وإن كانت هذه النسبة تنخفض في الجنوب فإن الاختلاط بين هذه الأجناس والتزاوج بين القبائل جعل من الصعب التمييز بينها ، وبفضل الدعوة إلى الإسلام انتشر بين الزنوج وغيرهم على حد سواء ، ونشأ التزاوج الذي جعل الاندماج مع المسلمين يسير سيراً منتظماً . وبما أن الصحراء تؤلف قسماً كبيراً من أرض تشاد فلا تزال الحياة القبلية تلعب دورها ، ويمكننا تمييز عدة قبائل وشعوب منها .

بيلي : وتسكن في الشمال الشرقي في منطقة عنيدي الجبلية ، وتدين بالإسلام الذي أخذته بفضل السنوسيين .

تيدا : ومنازلها في الشمال في بلاد تيبستي وتدين أيضاً بالإسلام

البودوما : وتعيش في الجهات الشمالية والوسطى من البحيرة ، وتعتنق هذه الجماعات الإسلام أيضاً .

التيبو : وهم رعاة إبل في الشمال ، ويتحملون العطش ، ويدينون بالإسلام ، ويصلون إلى ليبيا في ترحالهم .

شوا : وتعيش في وسط بلاد تشاد وجنوب شرق

البحيرة ، ويمتهنون تربية الحيوانات من أغنام وأبقار ، وقد تحضر بعضهم ، وهم مسلمون .

كوتوكو : وهم مزيج من الزنوج والعرب ، وإن كانت الصفات الزنجية هي الغالبة عليهم ، والظاهرة في ملامحهم ، وقد اعتنقوا الإسلام ، ويمتهنون حالياً صيد السمك وتجارته ، ويصنعون سفناً كبيرة لذلك ، كما أن نساءهم تقوم بتجفيف الأسماك على شواطىء الأنهار ، إضافة لهذه المهنة يقومون أيضاً بالزراعة على التلال وفي السهول بعد انتشار طمي الفيضان عليها ، ويزرعون الدخن والذرة والرز والقطن ، ويتجمعون في قرى يحيط بها جدر سميكة من الطين ليس لها إلا أبواب ضيقة ، وتخلو تماماً من النوافذ ، كما أنه في وسط القرية يقوم برج عال للمراقبة .

سارا : وهم في الجنوب ، وينتشـــرون في جمهورية إفريقية الوسطى ، وهم خليط من الزنوج والحاميين والعرب ، ويتصفون بطول القامة حيث يبلغ المعدل الوسطي ١٨٠ سم ، كما يمتهنون الزراعة . ومنهم من اعتنق الإسلام ، ومنهم من دان بالنصرانية والفرع الأخير هو الحاكم في تشاد ، وإليه ينتمي رئيس الجمهورية تومبالباي .

الكانوري : وهم من الزنوج ، وقد اختلطوا بالعرب ، ودخل قسم منهم بالإسلام ، ويقومون بالزراعة في منطقة باغيرمي ، كما أنهم يعملون بالتجارة ، وعندهم خبرة ومهارة فيها ، والتجارة بأيديهم وأيدي الحوصا .

الحوصا : وينتشرون في الوسط ، وتعتبر مهنتهم الرئيسية التجارة ولهم مهارة فيها ، ونفوذ كبير بين القبائل التي اتصلت بهم ، وقد أصبحت لغتهم هي لغة التجارة في السودان الغربي ، وجميعهم من المسلمين ، وحيثما ذهبوا نقلوا معهم الدين الإسلامي ، وينتشرون من سواحل غينيا حتى مصر .

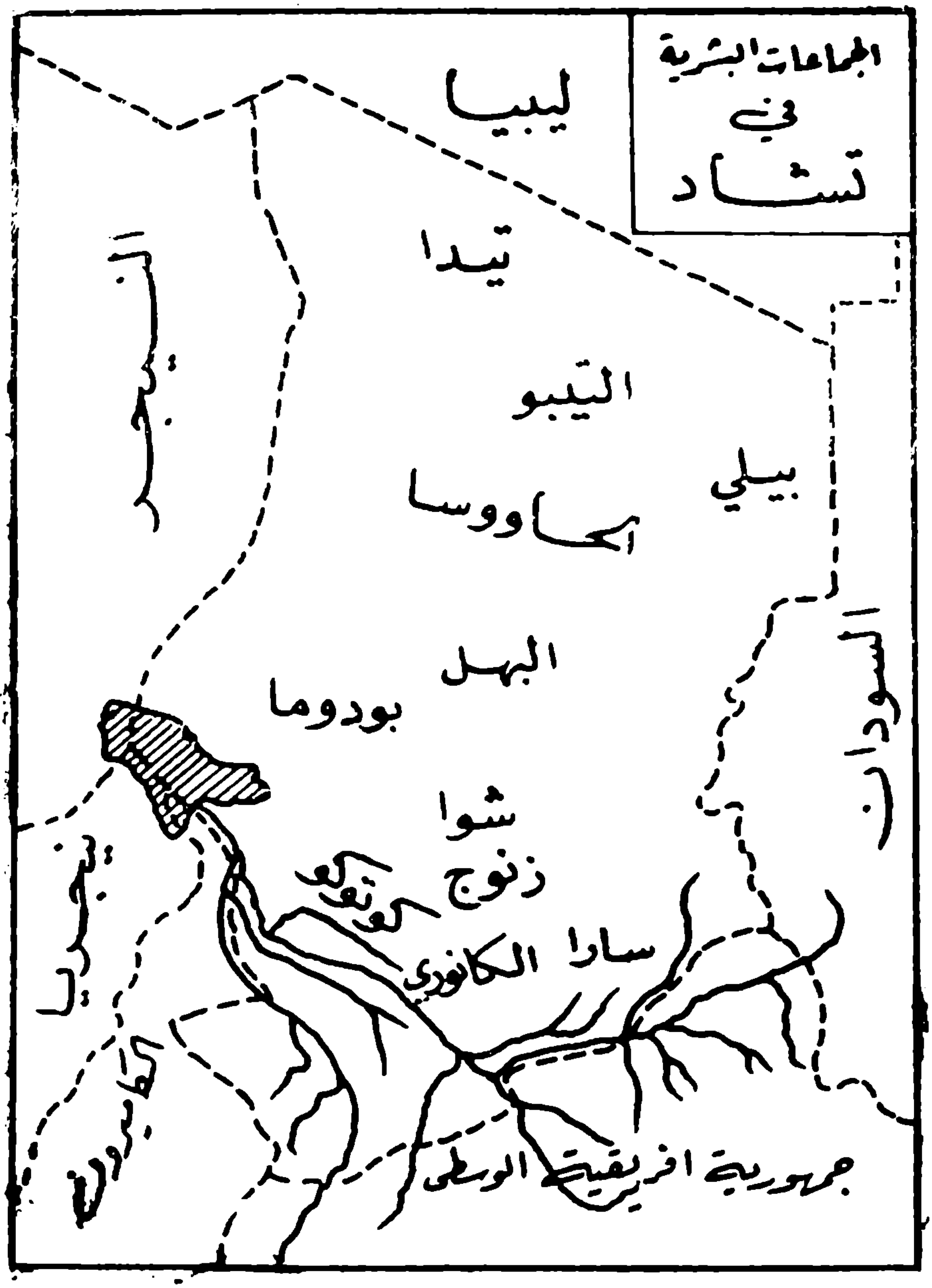
البهل : وينتشرون في الوسط ، وهم من أصل عربي ، ويعملون في الرعي ، واعتنق أكثرهم الإسلام ، وإن بقي منهم عدد قليل على الوثنية ، وقد استقر بعضهم ، وأقام في قرى ومدن يقال لها فيللاتا Fellata

الزنوج : ونجد بعضهم لم يختلط مع غيرهم ، واحتفظوا بالصفات الزنجية تماماً نتيجة للعزلة التي فرضوها على أنفسهم في جبال ملغي وأبو ضيا . وكما أنهم احتفظوا بالجنس ، فقد حافظوا أيضاً على ديانتهم ، فبقوا على الوثنية . ويتكاثفون في هذه المنطقة ، ويمتهنون

الزراعة على المصاطب الجبلية ، كما ينحـدرون إلى السهل لتقوم زراعتهم على الري ، ويتجمعون في بيوت اسطوانية ، وإلى جانب البيوت ، تقوم مخازن الحبوب ، والبنـــاء من الطين بشكل عام ، وقد بدأوا يهجرون الجبل إلى السهل ، ووصل بعضهم حتى نيجيريا والسودان .

وهناك مناطق يختلط فيها البدو مع الحضر كما هو الحال في إقليم واداي ، كما يختلط العرب الرحل مع البقارة في واداي أيضاً و كانم .

وإضافة إلى هذه المجموعات توجد مجموعات أخرى كثيرة ، منها السكان القدامى مثل البولالا ، والتاما ، والأرنجا ، والموسجو ، والقرعان وغيرهم .


الجماعات البشرية
في
تشاد
ليبيا
تيدا
التيبو
بيلي
الحاووسا
البهل
بودوما
شوا
زنوج
كوتوكو
سارا
الكانوري
جمهورية افريقيا الوسطى
السودان
النيجر
نيجيريا
الكاميرون

يبلغ عدد سكان تشاد ٤ ملايين نسمة ، تقرب نسبة المسلمين فيهم من ٨٥ بالمائة ، وقد أوصلتهم بعض المصادر إلى ٩٢ بالمائة ، بينما تقول نشرات التبشير أنهم لا يزيدون عن ٥٠ بالمائة ، وهي لا شك غير سليمة النية ولا يمكن الركون إليها ، فالغرض معروف من تقليل هذه النسبة ، فهم يحاولون قصارى جهدهم أن يمحوا الفكرة الشائعة من قديم وهي أن البلاد إسلامية ، ويفتحون بذلك باب الأمل بإيجاد أغلبية غير مسلمة ليفيدوا من ذلك من الناحية الدينية والسياسية ، ويكثر المسلمون في المناطق الشمالية ، ويقلون في الجنوب حيث يسيطر المبشرون الذين يضعون العراقيل المختلفة في وجه انتشار الإسلام ، ويخشون زحفه من الشمال نحو الجنوب ، حتى إنهم يراقبون حركة الانتقال بين الشمال والجنوب التي لا تقل صعوبتها عن الانتقال من دولة إلى أخرى معادية لها . ويوجد أقل من نصف مليون من الوثنيين والذين يعتقدون بالأرواح ، ويقدسون الأشباح ، ويقولون بوجودها في المناطق المظلمة ، كما يوجد بعض الآلاف من المسيحيين الذين اعتنقوا هذه الديانة منذ أن لوث الاستعمار هذه البقعة ، وسيطر عليها ، وأطلق يد المبشرين في العمل ، وأمدهم بكل ما يحتاجون فكانت مراكزهم ذات أهميه كبيرة . ويتضايق المبشرون من

الأكثرية الإسلامية الموجودة في العاصمه ففي عام ١٩٦٢ كان عدد سكان مدينة قصيري (فورت لامي) ٩٠ ألف نسمة منهم ٨٠ ألف من المسلمين . والمساجد كثيرة في البلاد ، ففي ابيشة يوجد جامع السلطان الذي أنشيء عام ١٠٧٦ه ، وفي قصيري يوجد المسجد الكبير الذي بني عام ١١٧٦ ه ، والأهالي هم الذين ينفقون على هذه المساجد ؛ فالدولة لا تقدم شيئاً في سبيلها ، وإنما تقف في الصف المعادي لها ، كما أن هناك جمعيات إسلامية كثيرة ذات أثر في الحياة العامة ، فتوجد الهيئة التشادية الإسلامية ، وجمعية الشباب المؤمن في العاصمة ، وجمعيه الفقهاء في ابيشة وهناك ناد للثقافة الإسلامية في العاصمة ، كما توجد جمعيات خيرية مثل جمعية الأخوة التشادية ، والجمعية التجارية الوطنية ، وكل هذه الجمعيات إنما نشأت تقريباً بعد نهاية الحرب العالمية الثانية . ويلعب العلماء أيضاً دوراً رئيسياً في تمثيل الشعب الذي يلتف حولهم ، ويعتبرهم قادته الشرعين ، ويذهب أغلب هؤلاء العلماء للدراسة في الأزهر ، وقد لاحظ الفرنسيون عندما دخلوا البلاد أثرهم ، لذلك عملوا على القضاء عليهم ، ورأينا كيف دبروا لهم مذبحة كبكب الشهيرة ، وتقصّوا الآخرين حتى أخرجوهم من البلاد . ويؤلف الإسلام رابطة قوية بين السكان الذين يتبعون مذهب

الإمام مالك ، وقد شجع الأمير رابح الأخذ به . واللغة السائدة هي العربية ، ويتحدث بها أكثر من ٩٠ بالمائة ، وهي لغة التعليم في الدراسة الدينية ، فنجد في ابيشة مدرستين عربيتين أحدها الشيخ ابراهيم جباي خليل الذي درس في كلية الشريعة في الأزهر . أما في المدارس الرسمية التي كانت تشرف عليها الحكومة فلا تدرس اللغة العربية إلا كلغة ثانوية ، حيث اللغة الرسمية هي الفرنسية ، والمدارس الدينية كثيرة مثل معهد ابيشة الديني الثانوي ، والمعهد الاسلامي الابتدائي في العاصمة ، والمدرسة الابتدائية في مدينة فورت ارشمبول التي تدرس علوم الشريعة .

والدولة لا تعطي المنح إلا المدارس التي تتقيد بالبرامج الرسمية ، لذلك لا تنال المدارس الاسلامية أية مساعدة مهما كان نوعها ، والأهالي هم الذين ينفقون على هذه المدارس ، ويشرفون على إدارتها ، ويسهرون على تنظيم شؤونها . وقد اضطهد التعليم الاسلامي منذ جاء الاستعمار حتى لم يعد للمسلمين إلا عدد قليل من المدارس المنظمة ، منها المعهد الديني في مدينة ابيشة الذي افتتح عام ١٩٤٦ ، والذي يحاربه الفرنسيون منذ تأسيسه ، حتى أغلق أخيراً في عام ١٩٥٣ ، ولكن الحكومة اضطرت الى فتحه

مرة أخرى تحت ضغط الأهالي ومطالبة السكان وذلك في عام ١٩٥٧ ، ولكنها وضعته تحت إشرافها ، وهي اليوم تتولى شؤونه .

وقد عمدت فرنسا إلى إبقاء المسلمين في جهل تام ما أمكنها ذلك ، وبما أنهم هم الأكثرية الغالبة لذلك لم تكن لتهتم بالتعليم ، وكانت المدارس قليلة بشكل عام مما يلفت النظر ، ففي سنة ١٩٥٨ لم يكن في البلاد إلا ١٥٤ مدرسة إبتدائية فقط ، ولم يكن في المدارس الثانوية إلا ٤٦٧ طالباً ، ويوجد مدرسة ثانوية واحدة ، وثلاث مدارس مهنية ومعهد للمعلمين ، وبرامج هذه المدارس جميعاً مشابهة للبرامج الفرنسية ولم يحظ بالتعليم الغربي إلا أولئك الذين اعتنقوا الديانة المسيحية .

وكذلك تنتشر اللهجات السودانية المحلية في جهات مختلفة من البلاد . ويبلغ عدد اللغات في تشاد ١١٨ لغة .

الحياة الاقتصادية

تعتبر تشاد بلداً متخلفاً ، وهي تعتمد على المعونة الفرنسية لسد عجزها وتموين بعض مشاريعها ، وأهم نشاط السكان هو الزراعة التي لا تزال بدائية ، حيث لم تدخلها بعد الأساليب الزراعية الحديثة ، ثم هناك تربية الماشية وصيد الأسماك .

وإذا كانت المنطقة الشمالية صحراوية ، لا يجود فيها سوى النخيل في واحاتها المتعددة ، فإن المنطقة يمكن زراعتها في بعض الأقسام والاعتماد في ذلك على مياه الآبار ، أو إقامة المشاريع ، وزراعة الحنطة هي التي تناسبها ، ومع فقر هذه المنطقة فإن فيها ثروة حيوانية ضخمة ، فجميع القبائل الرحل ونصف الرحل التي تعيش في الشمال تربي الأغنام ذات الصوف الطويل ، وقد بلغ عدد أغنامها أكثر من مليوني رأس عام ١٩٥٨ إضافة إلى مليوني رأس من الماعز ، و ٣٠٠,٠٠٠ رأس من الإبل ذات الوبر الطويل ، والتي تعتبر واسطة النقل الوحيدة في تلك الصحراء الواسعة .

أما المنطقة الجنوبية فهي المنطقه الزراعية حيث تهطل الأمطار في فصل الصيف ، وتكفي كميتها لقيام بعض أنواع الزراعات ، كما أن المياه الجارية يمكن الاستفادة منها في أعمال الري ، ولو أقيمت المشاريع على هذه الأنهار لأمكن زيادة الفائدة من المحاصيل الكثيرة التي تنتجها ، وأهم الزراعات الموجودة حالياً هي :

١ ـ القطن ويعتبر الموسم الرئيسي الموجود في البلاد حيث يعطي ٨٠،٠٠٠ طن ، أي ما يقارب الانتاج السوداني من هذه المادة ، ومعظم هذا القطن ، يصدر إلى الخارج ، إذ الصناعة القطنية غير موجودة ، وفرنسا هي البلد الذي يستورد هذا الصنف من المحاصيل دون غيرها .

٢ ـ الرز وهو المحصول الغذائي الأساسي ، وتزرع أنواعاً عديدة منه ، وتقدم (٢٥،٠٠٠) طن ولا يصدر منه شيء حيث يستهلك محلياً .

٣ ـ ثم هناك الدخن والذرة والفول السوداني إضافة إلى المواد التي مر ذكرها من النخيل والحنطة ، ويوجد بعض منتجات البلاد الحارة وان كانت قليلة الاهمية مثل الموز وجوز الهند والكاكاو . والى جانب الثروة الزراعية الموجودة في الجنوب نجد

ثروات أخرى منها تربية الأبقار حيث المراعي الطويلة متوفرة، وتناسب تربية هذا النوع من الحيوانات . وتصدر تشاد الابقار إلى نيجيريا، كما تصدر الجلود، وتعتمد إفريقية الوسطى والغابون في تموينها باللحوم على جمهورية تشاد . ثم هناك الثروة السمكية حيث الصيد في بحيرة تشاد والأنهار المتجهة اليها، وتقدر هذه الكمية بـ (٨٠،٠٠٠) طن من الأسماك، ثم هناك الثروة الغابية التي لم تمس بعد، وهي في الجنوب .

أما الثروة المعدنية فلا يمكن الحديث عنها، حيث إن الأرض التشادية لم تدرس بعد دراسة جيولوجية، لذلك لا يعرف ما تخبئه أرض تشاد من معادن وقوى محركة في جوفها، وربما ظهر البترول في تلك الصحراء التي هي امتداد للصحراء الجزائرية والليبية والتي دلت على غناها العظيم بهذه المادة وتشير الدلائل على وجود معدن الأورانيوم بكثرة .

كذلك لا توجد في تشاد صناعة بالمعنى الحقيقي فرغم توفر القطن إلا أنه لا تقوم عليه أية صناعة نسيجية، بل إن فرنسا حاولت أن تقف في وجه هذه الصناعة، لتحتكر استيراد القطن إلى معاملها، علماً بأن بلادها تعجز عن تأمين أية كمية صغيرة كانت أو كبيرة، وجل ما في تشاد معمل لاستخراج الزيت من بذور القطن، وآخر من فستق

العبيد ، ومعملين لقشر الرز في العاصمة . وهناك مدابغ للجلود التي تفيض عن حاجة البلاد ، وتصدرها .

والمواصلات متأخرة جداً ، فلا يوجد في طول البلاد وعرضها أي خط حديدي ، والملاحة النهرية غير مؤمنة إلا في فصل الأمطار . والطرق المعبدة قصيرة جداً لا تتناسب مطلقاً مع اتساع المنطقة ، فلا يزيد طولها عن (٣٠٠ كم) ، كذلك فالطرق التي تصلح في كل الفصول قليلة لا تتعدى (٥٠٠ كم) .

والميزان التجاري يشير إلى وضع البلاد المتأخر ، فلا ينفك يسجل خسارة في كل عام حيث بلغت الصادرات عام ١٩٥٨ م (٥١٧٠) مليون فرنك ، بينما بلغت الواردات في ذلك العام (٦٦١٠) مليون فرنك . والوحدة النقدية هي الفرنك التشادي الافريقي . ويمكن للحالة الاقتصادية أن تتقدم إذا نفذت بعض المشاريع الإروائية ، ومدت طرق المواصلات ، وكذلك إذا انتهت الدراسة الجيولوجية للبلاد ، ودلت على وجود كمية من الثروة المعدنية التي يمكن الاستفادة منها لتطوير البلاد ، وخاصة البترول والأرانيوم .

الحياة السياسية

بدأت الاكتشافات الجغرافية الأوربية في القرن الخامس عشر، وكانت البرتغال أولى الدول التي اتجهت نحو إفريقية، وكان الدافع الأول لها هو حصار المسلمين لإمكان القضاء عليهم، وإخراجهم من المغرب بعد أن أخرجوهم من الأندلس، والوصول إلى المشرق لمساعدة الأحباش في حروبهم مع المسلمين حيث كانت في تلك الفترة على أشدها [1]، وكانت التجارة تشجعهم، لذلك لم تدخل البرتغال إلى قلب القارة الافريقية وخاصة إن سكان المناطق الشمالية من المسلمين، وإنما اقتصرت على تأسيس مراكز لها على الساحل كما أن المناخ السيء والغابات الكثيفة حالت كلها دون الولوج إلى الداخل، وخاصة بالنسبة إلى أولئك الأوربيين الذين ألفوا المناخ البارد أو المعتدل البارد، وهذا ما منعهم أن يدخلوا بعد إذ جاءتهم

---

(١) يمكن الرجوع إلى أريتريا والحبشة من هذه السلسلة مواطن الشعوب الاسلامية في افريقية العدد / ٥

الموارد متكدسة إلى الساحل ، وعندما حاول فاسكودي غاما عام ١٤٨٢ التوغل في داخل القارة شعر بالمرض فأسرع بالعودة ، وعلى هذا بقي قلب إفريقية بعيداً عن الأيدي الاستعمارية ، وبعد تشاد عن الساحل أخر وصول المستعمر اليها . فعاشت في مأمن بعيدة عن بلاء الاستعمار فترة من الزمن

وبعد تأسيس المراكز التجارية لم يطمئن الأوربيون لسكان الساحل الذين يخالفونهم في العقيدة ، فعرفوا أنهم مدحورون أمامهم في النهاية ، طال الأمد أم قصر . لذلك فكروا في إقامة جمعيات تبشيرية لكسب جماعات من الافريقيين إلى دينهم ، يمكنهم الاطمئنان اليهم ،وعندها تتأمن السيطرة الصحيحة للأوربيين في إفريقية ، وعلى هذا قامت جمعيات تبشيرية واستعمارية في كل من فرنسا وانكلترا ، كان من غايتها الوصول إلى قلب إفريقية ، حيث بدأت دول هذه الجمعيات تتطلب مواداً أولية لمعاملها وأسواقاً جديدة لبضائعها . وتبطر المادة عادة أهلها فتعميهم عن أهدافهم وغاياتهم الأساسية التي يخططون من أجلها ،وفي عام ١٨٢٣م وصل (كلابرتون) إلى بحيرة تشاد قادماً من الشمال من طرابلس الغرب ، ثم وصل (بارت) الالماني من الجنوب عام ١٨٥٠ م ، ثم جاءت بعثات فرنسية قادمة من الغرب لتقف أمام تقدم الدول الأخرى ،ولتسد عليهم الطريق ،وبدأت

المنافسة بين هذه الدول الاستعمارية الثـــلاث ، وفي عام ١٨٨٠ أرسلت فرنسا (دي برازا) الذي أسس مدينة برازافيل ليتقدم من الغابون فتوغل داخل المنطقة ، وطلب من الحـــاكم الفرنسي في السنغال أن يساعده ، فأرسل اليه حملة لكنها هزمت أمـام قوة تشاد التي كان يتزعمها الأمير رابـح - وكان وصوله حديثاً إلى تلك المنطقة - ثم أرسلت حملة أخرى بقيادة (بول كرامبيل) عام ١٨٩٠م وهو يعرف المنطقة ، فقد زارها عام ١٨٨٨م ، فنزل في الغابون وعقد معاهـــدات مع سلاطين الغابون والكونغو والاوبانجي ظاهرها التجارة وحقيقتها الاستعمار ، وبعد أن استولت الحملة على هـذه المناطق اصطدمت بقوات تشاد ، فاندحرت ، وقتل قائدها كرامبيل ، ولما رأى الفرنسيون والانكليز والألمـان ما أصابهم أنهوا خلافهم [١] ، ووجدوا أن النصر كامن خلف اختصاص كل بمنطقة يدافع عنها بكل قوته ، فاتفقوا فيما بينهم ، واقتسموا المنطقة عام عام ١٨٩٣م ، وكانت بحيرة تشاد نقطة التقاء الحدود التي صنعها المستعمرون ، والتى فصلت بـين نيجريا والكاميرون وتشاد والنيجر ، أو بـين مناطق نفوذ هـذه الدول الاستعمارية الثـــلاث .

---

(١) ليت قومي يعلمون ويستفيدون من حوادث التاريخ.

وجاءت حملة من باريس بقيادة أميل جونتي ، وبقيت المعارك مدة ٧ سنوات متواصلة أبدى خلالها سكان تشاد من الشجاعة النادرة في جهادهم ضد الفرنسيين ، ودفاعهم عن دينهم ضد اعدائهم ما يخولهم أن يكونوا قادة الأبطال . ولما فشل الفرنسيون في حربهم هذه ، قدمت حملات ثلاث بقيادة لامي ، وكانت المعارك سجالاً بين الطرفين ، وفي إحدى المعارك على أبواب مدينة قصيري ، قتل القائد الفرنسي ، وجرح الأمير رابح جروحاً بليغة ، مات بعد فترة متأثراً بجراحه وذلك عام ١٩٠٠م ، واستطاعت القوات الفرنسية أن تحتل عاصمته ديكوا ، وقام من بعد الأمير رابح ابنه فضل الله يحمل راية الجهاد ، واستطاع استرداد ديكوا ، ولكن النصر عاد في النهاية إلى جانب الفرنسيين فاحتلوا العاصمة ، وقتلوا الأمير فضل الله ، وسيطروا على المنطقة عام ١٩٠٩ م ، وانتصر الفرنسيون على المقاومة بعد معركة عين جالا عام ١٩١١ م . ثم ضمت فرنسا منطقة بوركو إلى هذا الإقليم ، وأطلق على المنطقة اسم تشاد ، وضمت إلى إفريقية الإستوائيه الفرنسية التي شملت إضافة إلى تشاد الغابون والكاميرون والكونغو وإفريقية الوسطى . واتصلت المستعمرات الفرنسية مع بعضها ، حيث كانت تهدف

الدول الأوربية وخاصة انكلترا وفرنسا والبرتغـــال الى وصل مستعمراتها مع بعضها .

ورسمت الحدود بين تشاد وليبيا عام ١٩١٩م ، باتفاق بين فرنسا وإيطاليا الدولتين المستعمريتين للبلدين .

أراد الفرنسيون أن يستقروا في البلاد ، فلم يجدوا عـدواً لهم كالإسلام ، ورأوا أن السيف وحده هو الذي يذل الرقاب ، ويخضع النفوس ، ورأوا الأمة تجمع حول علمائها ، وتلتف حول أئمتها ، فجمع الفرنسيون العلماء من مختلف الجهات ، وكان الجمع على أساس الإستشارة والبحث في الامارة ، وكانت وراءها الخديعة التي يجثم الغدر خلفها ، وجاء أصحاب الرأي يمثلون البلاد ، التقوا في ابيشة مركز إقليم واداي عام ١٩١٧م ، وجاء أربعمائة عالم ، ودفنوا عدداً لا يحصى من القطع مزقهم الساطور أداة التنكيل في القرن العشرين وأطلق على هذه المذبحة كبكب ، وهو اسم يدل على معنى شامل للنكبة . ونادى الفرنسيون أنهم بهذه الوسيلة قد قضوا على الرجعية وأوكارها ، وقد آن للبلاد أن تتحرر من كل قيـد يفرضه الدين والأخلاق ، وعلى هـذا تتبعوا جميع معلمي القرآن ، والمرشدين ، وبقية العلماء الذين لم تطالهم مذبحة كبكب

حتى أخرجوهم من البلاد ، واعتبروا هذه بداية الثورة على الرجعية ، ولكن إن أوقفوا المذابح الجماعية فقـــد تابعوا محاربة الإسلام واتخذوا في ذلك طريقين .

١ ـ **مباشر** : وهي الدعاية ضد الإسلام ، والفئات التي تنادي به ، وقادة الحركة الإسلامية ، فاعتبروها تمثل الرجعية وكلها دخيلة على المنطقة جاءت من بلاد ثانية ، وأرادت الاحتفاظ بمركزه ، فأخذت من وجود الإسلام ذريعة لبقائها ، وأن العالم لم يعد بحاجة إلى الاعتقاد بالديانة البالية .

٢ ـ **غير مباشر** : وهي نشر المفاســـد والدعاية للانحلال والاختلاط والسفور فقد ساهم الفرنسيون في نشر المخدرات والخمور ، وشجعوا الحفلات الخلاعية ونشر الصور العارية والأفلام الموجهة ، وهذا كله يدعو إلى التحرر من الدين .

كما عمل الفرنسيون على إبقاء المسلمين في حـــالة من الجهل والفقر ينتابهم المرض ويصيبهم العذاب . فلا يدخل المدارس التي تشرف عليها الحكومـــة ، أو المستشفيات التي يشرف عليها المبشرون وهي وحيدة في البلاد إلا الذين اعتنقوا ديانة فرنسا ، وكانت سياسة فرنسا تقتضي بامتصاص كل مجموعة مثقفة من سكان

تشاد إلى فلك الثقافة الفرنسية ، حتى لا تخلق لنفسها مشكلة ثقافتين متباينتين إحداهما إسلامية والأخرى غربية ومشكلة وجود عدد من المثقفين من سكان البلاد ، يطالبون بالمساواة مع الفرنسيين ، أو المطالبة بالاستقلال في المستقبل . كما سارت فرنسا على سياسة التمييز بين الفرنسيين والتشاديين تمييزاً يعتمد على اللون والتعالي ، والسيد والمسود ، وهذا التمييز يصل إلى الفروق في الرواتب بين الموظفين وأجور العمال والرتب العسكرية وكل نواحي الحياة .

وكذلك منعت القوات الفرنسية التشاديين من تأليف أحزاب سياسية وطنية خشية من سيطرتها وزيادة نفوذها في المستقبل ، فكانت تريد أن توجه هذه الأحزاب من باريس ، لذلك عمدت على أن تكون الأحزاب القائمة في تشاد فروع الاحزاب السياسية الموجودة في فرنسا وكانت أهمها :

١ – الحزب الراديكالي : ويتولى رئاسته في تشاد فرانسوا تمبالباي . R. D. E. A.

٢ – الحزب الاشتراكي :وهو الذي يرأسه في فرنسا غي موليه

ولكن فقد هذا الحزب أهميته حيث لم يعد له أحد من الموالين وخاصة بعد عام ١٩٥٨ م إلا الأجانب المؤيدين لسياسة فرنسا .

٣ – حزب أوديت : ويرأسه في تشاد السيد ربتليس .

٤ – الحزب الوطني التشادي ويرأسه السيد أحمد أبا .

وبقيت أوضاع تشاد تسير بشكل عادي حتى الحرب العالمية الثانية لا يختلف حكام تشاد الفرنسيون عن فراعنة مصر في شيء في ظلمهم .

وفي عام ١٩٣٥ م عدلت الحدود بين ليبيا وتشاد ، دخلت بموجبها الأقسام الشمالية من جبال تيبستي ضمن ليبيا ، ولكن لم تنفذ بنود هذه المعاهدة .

بدأت الحرب العالمية الثانية ويحكم تشاد غواد الوب ولم تلبث حكومة فرنسا أن سقطت أمام المانيا ، وتشكلت في فرنسا الجنوبية حكومة مركزها مدينة فيشي ويرأسها الجنرال بيتان، وتوالي المانيا. ولم يعترف بعض الفرنسيين بهذه الحكومة ، ففروا إلى انكلترا وهناك تشكلت حكومة برئاسة الجنرال ديغول وسميت باسم حكومة فرنسا الحرة ، وقد أعلن حكام تشاد تأييدهم للجنرال ديغول بعكس الوضع في مراكش والجزائر وتونس

وسوريا ولبنان والهند الصينية وبقية المستعمرات الفرنسية التي أعلنت كلها ولاءها لحكومة فيشي ، وهكذا توقف التقدم الالماني نحو قلب إفريقيا ، وقد عقد ديغول عام ١٩٤٤م مؤتمراً في برازفيل، واعترف فيه بحق الافريقيين بأن ينالوا حياة أفضل ومنع النظام الذي كانت تسود فيه السخرة ، كما زار تشاد والقى خطاباً في مكان لا يزال يحمل اسمه حتى اليوم .

وقد اشترك سكان تشاد في الحرب العالمية الثانية بعد ما منّاهم ديغول بالأماني المعسولة ، وكانت تشاد مركزاً لتموين الجيوش الحليفة التي حاربت في الصحراء ، ومنها انطلقت القوات التي دخلت ولاية فزان في ليبيا ، وطرابلس الغرب وتونس وقد طبق في تشاد عام ١٩٤٤م نظام بلاد جمهورية فرنسا لما وراء البحار ، وانتخب أول مجلس نيابي فيها عام ١٩٤٧م ، وأقامت أول حكومة برئاسة رجل من الهند واسمه غبريل ليزبت جاء إلى البلاد موظفاً إدارياً ، ثم عمل بالسياسة ، وألف حزب التشاديين التقدميين .

وعرض ديغول دستوره عام ١٩٥٨م ، وطلب من المستعمرات التصويت عليه فالمستعمرات التي توافق عليه تصبح ضمن مجموعة

الشعوب الفرنسية ، وتحصل على الاستقلال الذاتي مباشرة ، ويتساوى سكانها مع الفرنسيين في المجالس والقوانين ، وتصبح المستعمرات التي ترفضه منفصلة عن فرنسا ، وعندها تضطر فرنسا إلى أن تقطع عن تلك المستعمرة جميع المساعدات المالية والاقتصادية والفنية ، وأجرى الاستفتاء على الدستور في / ٢٨ / إيلول ١٩٥٨م وكانت النتيجة لصالح فرنسا ، وأصبحت تشاد حسب الدستور الديغولي دولة ذات استقلال ذاتي عام ١٩٤٩م ، وحلت إفريقية الإستوائية الفرنسية .

أجريت الانتخابات في ١٥ / نيسان / ١٩٥٩م ، ففاز الحزب الراديكالي وحزب أوديت وبعدها ائتلف الحزبان وشكلا ما سمي الحزب التقدمي التشادي ، ونال هذا الإئتلاف جميع مقاعد الجمعية التأسيسية ، وعددها ٥٨ مقعداً ، وشكل السيد فرانسوا تمبالبي الوزارة وهو رئيس الحزب الراديكالي سابقاً ، بينما أصبح السيد غبريل ليزبيت نائباً لرئيس الوزارة هو رئيس حزب أوديت سابقاً ، وفي آب أصبحت تشاد جمهورية مستقلة ،ووضع دستور للبلاد ، ثم قبلت جمهورية وتشاد في هيئة الأمم المتحدة وذلك في ٢٠ / ايلول / ١٩٦٠م ثم عدل الدستور في تشرين الثاني في نفس العام وبموجبه أصبحت

اللغة الفرنسية هي الرسمية ، كما أصبحت السلطة التنفيذية بيد رئيس الجمهورية الذي يشغل أيضاً منصب رئيس الوزارة ، وينتخب من قبل الجمعية العمومية ، وأعفي السيد غبريل ليزيت من جميع المناصب التي كان يشغلها وبقي السيد فرانسوا تمبالباي زعيم للحزب الحاكم ، ثم جرى تشكيل الوزارة فضمت ستة عشر وزيراً قسموا إلى قسمين : ثمانية مسلمين وثمانية غير مسلمين ـ بين وثنيين ومسيحيين ـ وكان هذا التقسيم في حد ذاته هو ظلم وإجحاف بحق المسلمين إذ أن عددهم لا يتناسب مع هذا التقسيم كما ذكرنا سابقاً ومن الوزراء المسلمين الذين شغلوا مناصب وزارية :

١ ـ ابانسرو : وزيراً للداخلية .
٢ ـ محمد عبد الكريم : وزيراً للدفاع .
٣ ـ علي كوسو : وزيراً للعدل .
٤ ـ جبريل خير الله : وزيراً للخارجية .
٥ ـ أحمد كتكو : وزيراً للتربية والتعليم .
٦ ـ جانباتيز : وزيراً المواصلات .

كما عين هواي الشيخ بن ابراهيم قاضياً للقضاة ، وقد حصل تعارض بين القانون الفرنسي والشريعة الإسلامية وخاصه لجهل

الناس بالشريعة فاستحضر قاضي القضاة نسخاً عديدة من كتاب (الرسالة) على مذهب الإمام مالك مترجماً باللغة الفرنسية من الجزائر كما استحضر كتباً إسلامية أخرى مترجمة إلى الفرنسية ووزعت على المحاكم والمدارس ، وكان يستشهد بهذه الكتب عند اللزوم .

وقد سارت الأمور في البداية سيراً حسناً إذ أن رئيس الجمهورية كان يقبل النصيحة والتوجيه إلى أن استتب له الأمر فقلب رأس المجن .

وفي شباط ١٩٦٢م ألغى رئيس الجمهورية كل الأحزاب سوى حزبه « الحزب التقدمي التشادي » بحجة أن هذه الأحزاب كانت قبل الاستقلال ، كما حاول إبعاد التكتل الإسلامي ، وألقى القبض على ثلاثة من زعماء المسلمين السياسيين بتهمة تهديد أمن الدولة ، ثم حل المجلس .

وعدل الدستور من جديد في ١٤ / نيسان / ١٩٦٢م ، وينص على أن تشاد دولة جمهورية ، لها رئيس ، ومجلس برلماني واحد، ينتخب أعضاؤه لمدة خمس سنوات ، بينما ينتخب رئيس الجمهورية لمدة سبع سنوات ، ويتم انتخاب رئيس الجمهورية من قبل المجلس

ورؤساء البلديات ورؤساء المقاطعات وزعماء القبائل والوحدات الادارية ، ولا يمكن إقالته إلا بالأكثرية المطلقة لأعضاء المجلس .

جرت الانتخابات عام ١٩٦٢ م ، واستعيض عنها بانتخابات آذار ١٩٦٣ م ، حيث ضم المجلس عدداً أقل ، حيث أصبح أعضاؤه ٧٥ عضواً .

والحزب الوحيد في البلاد هو الحزب التقدمي التشادي P.P.T ، وقد انضم إليه حزب التجمع الديمقراطي الإفريقي A.D.A ، ولا يختلف الحزبان عن بعضهما في المبادىء . وكان قسم من رؤساء الوحدات الادارية وزعماء القبائل في شمال البلاد من أعضاء هذا الحزب ، وكان أهمهم عمدة منطقة برداي (سوغومي) وهو من قبائل التيبو ، وقد جرت محاولة لضم ملك تيبستي إليه ولكن دون جدوى .

وقد انضم كثير من المسلمين تحت لواء الحزب القومي الإفريقي P.N.A الذي تشكل عام ١٩٦٠ م وشكل المعارضة ، وحصل على ٢٨ مقعداً في المجلس النيابي ، ولكنه عقد اتفاق بين الحزبين P.P.T و P.N.A ، وأوجدت كتلة الحزب التقدمي التشادي .

وفي شهر آذار ١٩٦٢ م وصل سفير إسرائيل إلى تشاد ، مما أثار

غضب المسلمين هناك فاتصل قاضي القضـــاة بوزير الدولة ووزير الخارجية وسكرتير الدولة ووزير العدل ، كما قابل أيضاً سكرتير الحزب الحاكم وهو « بابا حسن » وهو مسلم[1] وتكلم معهم بأنه لا يجوز أن تقبل الحكومة سفيراً لإسرائيل فإن هذا ما يتنافى مع علاقات وروابط مسلمي تشاد بإخوانهم من المسلمين في البلاد العربية والإسلامية ، لأن إسرائيل دولة معتدية وتاريخها وتاريخ اليهود معروف بالنسبة للمسلمين من أول فجر الإسلام حتى اليوم ، وإن قضية فلسطين إنما تخص كل مسلم ومسلمة في جميع أنحاء العالم ، وأنه زار القدس بنفسه أثناء اجـــتماع المؤتمر الاسلامي ، ورأى الظلم الذي أوقعه اليهود بالعرب ، فوعدوا أن ينقلوا هذا لرئيس الجمهورية ، وأن يظهروا عدم رضاهم عن هذا الموضوع .

وفي اليوم التالي قام سفير إسرائيل بمقابلة وزير الخارجية فقابله هذا الأخير مقابلة جافة وغير لا ئقة ، ثم قابـــل السفير الامرائيلي رئيس الجمهورية ، ونقل له ما جرى من وزير الخارجية فتأثر الرئيس تأثراً بالغاً ، وطمأنه أن كل شيء سيسير نحو الأحسن .

---

(١) يظهر أن المسلمين الذين ينتسبون للاحزاب والجماعات غير الاسلامية ليسوا إلا مطية لتلك الأحزاب والفئات ، ينفذون اغراضهم ، ويخدمون مصالحهم ، كما أن هذه الجماعات تنال مآربها باسمهم وتدعي أنها لاتعادي الاسلام فها هي تضم في صفوفها عناصر بارزة من المسلمين ، وعندما تدعو الحاجة تقذف بهم إلى الوراء ، وتدوس كل ما ادعته .

وفي ٢٢ آذار أجري تعديل وزاري أخرج بموجبه جميع الوزراء المسلمين من مناصبهم واستبدلهم بوزراء غير مسلمين . فقد نقل أبا نسرو من وزير الداخلية إلى وزير الدولة ، وشغل محمد عبد الكريم منصب رئيس الجمعية الوطنية بدلاً من وزير للدفاع . أما باقي الوزراء فلم يعينوا في أي منصب آخر . كما نفي وزير التربية والتعليم إلى خارج البلاد .

وفي نفس اليوم أمر رئيس الجمهورية باعتقال قاضي القضاة ووزير الدولة أبا نسرو ، ورئيس الجمعية الوطنية محمد عبد الكريم ، والسيد علي كوسو وزير العدل السابق ، وسكرتير الدولة الحاج عيسى ، وعضو مجلس النواب السيد بوما مهدي . وبعد ٣٥ يوم أحضروا للاستجواب فكانت النتيجة أن تقرر إخراج قاضي القضاة من البلاد لأنه ليس من سكان البلاد الأصليين بعد مصادرة جميع أمواله ، وسافر فعلاً إلى جمهورية مالي حيث هناك بلده الأصلي ، وبقي الآخرون رهن الاعتقال .

وأخذت الأمور تسوء باستمرار ، وبدأ الزعماء المسلمون يفكرون في إجراء تغيير في نظام الحكم ، وتنفيذاً لذلك بدأوا بالاتصال بضباط الجيش ، ولكن عيون رئيس الجمهورية استطاعت كشف الحركة ومعرفة الأشخاص القائمين عليها .

وفي ١٦ أيلول أرسلت الحكومة ثلة من البوليس لاعتقال

ثلاثة من زعماء الحركة ، وهم : جانباتيز وهو ابن لرجل فرنسي وأم وطنية ، وكان يشغل منصب وزير المواصلات في الحكومة السابقة ، ولكنه مسلم ، والسيد جبريل خير الله الذي كان يشغل منصب وزير الخارجية ، والسيد أحمد غلام الذي كان يشغل منصب رئيس الوزراء قبل الاستقلال ، ولكنهم رفضوا الانصياع للأمر ، وقتلوا أحد أفراد البوليس ، فأرسلت الحكومة قوة من الجيش مسلحة بالسلاح الكامل ، وتبادلت إطلاق النار مع الرجال الثلاثة ، وفي نفس الوقت كانت نفسية الشعب مهيأة للثورة التي اشتعلت ، وكانت نتيجتها أن اعتقل عدد كبير من المسلمين، وقتل حوالي ٥٠٠ مسلم ، وجرح الآلاف ، توفي منهم حوالي ٥٠٠ أيضاً متأثرين بجراحهم .

ثم جرت محاكمة صورية لزعماء الحركة والوزراء السابقين وأصدرت الاحكام التالية :

أبا نسرو وزير الدولة السجن المؤبد .
محمد عبد الكريم وزير الدفاع السابق السجن المؤبد .
علي كوسو وزير العدل السابق السجن ٢٠ عاماً .
الحاج عيسى سكرتير الدولة السجن ٢٠ عاماً .
برما مهدي عضو مجلس النواب السجن ١٥ عاماً .
بابا حسن سكرتير الحزب الحاكم السجن ٢٠ عاماً .

ويمثل المعارضة حزب الاستقلال الوطني والاتحاد الوطني التشادي، وتألفت حكومة جديدة من ١٢ وزيراً، ثلاثة وزراء فقط من المسلمين الذين يمثلون ٩٠٪ من السكان ، وفي نهاية عام ١٩٦٥ اعتقل رئيس الجمهورية ثلاثة من وزرائه بتهمة محاولة اغتياله ، وأوضح في الاذاعة أن هناك قائمة من الشخصيات المشتركة في المؤامرة لم تكتمل بعد ، وأن المعتقلين هم من حزب الاستقلال الوطني . وقد زار وفد من تشاد يمثل حزب الاتحاد الوطني التشادي برئاسة السيد ابراهيم انيشا الأمين المساعد للحزب المذكور والسيد أبو بكر عثمان ، زار هذا الوفد الخرطوم والقاهرة ودمشق وبعض البلدان العربية الأخرى ليوضح للمسؤولين في هذه البلاد حقيقة الوضع في تشاد .

خروج الاستعمار الفرنسي من تشاد ، وقبل أن يخرج أراد أن يجعل إدارة البلاد في أيدي فئة يحبها وتحبه ، فربى باشرافه وتحت ناظره هذه الفئة، سلمها مقدرات البلاد الذين باعوا دنياهم بدينهم، وأعطوا أنفسهم للأجنبي ورغم هذه الصفات المنكرة التي تتوفر فيهم ، والعبودية التامة للفرنسيين لم تخولهم هذه المزايا أن يستلموا ادارة البلاد لأن

الفرنسيين كانوا لا يثقون بهم ، ويخافون أن يكون هذا السلوك رياء ، وأن تعاودهم نفحات من الايمان فيقذفون بكل ما يمت للفرنسيين وأتباعهم بصلة إن آل إليهم الأمر ، والواقع أن حقد الفرنسيين الصارخ على الاسلام يبعدهم أن يفعلوا مثل هذا الفعل ويأمنوا المسلمين ولو كانوا منحرفين ، وكانت إلى جانب هذه الفئة العميلة جماعة من دين المستعمر رباهم المبشرون ، وتعهدهم الفرنسيون فاعطوهم الاشراف على البلاد ، وخرجوا مطمئنين ، وليست هذه الحالة في تشاد فريدة من نوعها بل كانت في كل بلد فيه مسلمون مهما كانت نسبتهم مرتفعة فلا تسلم البلاد إلا إلى أيد غير مسلمة هكذا فعل الفرنسيون في تشاد وفعل الانكليز في نيجيريا وتتجانيكا و .....

نحن نسمع أن دول أوربا قد أصبحت علمانية لا تقيم للناحية الدينية أي اهتمام ، ويحاول المتفرنجون في المشرق تقليد ذلك ويسيرون نحو الانحلال والرذائل السير الحثيث على هذه الخطى ليتخطوا القيود الدينية والاخلاقية التي يفرضها الدين على تصرفاتهم الشاذة ولكننا نرى في الوقت ذاته أن هذه الدول في مستعمراتها تسير لا على نهج ديني فقط وإنما حسب خطة طائفية موضوعة فتقدم المسيحيين وتبعد غيرهم ، تعلم اتباع دينها وتقف في وجه تعليم غيرهم بل

تحرص كل الحرص على ابقائهم في حالة من الجهل لابعادهم عن دوائر الدولة وإذا نادى أحد المسلمين بالمساواة بينهم وبين غيرهم نعت بالطائفية والرجعية والتأخر وكل صفة ذميمة وقيل له إن إنسان القرن العشرين لا يهتم بالناحية الدينية ولذلك لا يحق لك القول أو البحث به مطلقاً وكذا فاننا نسمع في كل يوم ونرى صراحة أن الذين يتخذون من محاربة الطائفية شعاراً لهم لا تنمو الطائفية ولا تترعرع إلا إبان سطوتهم، وهكذا فقد ترك الفرنسيون دولة تشاد بأيدي أقلية مسيحية لا تزيد نسبتها عن ٥٪ تتحكم في شؤون البلاد ومقدراتها وتسوم غير أتباعها سوء العذاب حسب وصية أسيادها الفرنسيين .

هذه الأحقاد المتوارثة من قبل الصليبيين منذ الفتوحات الاسلامية الكبرى إلى اليوم وهذه التصرفات السيئة التي يعامل بها المستعمرون السكان المسلمين في المناطق التي آلت إليهم حمايتها واستعمارها ستؤدي في المستقبل إلى رد فعل من قبل المسلمين الذين بدأوا يشعرون باسبابها ودوافعها وسيقاتلون صفاً واحداً أمام هذه التصرفات، وإذا كان بعض المسلمين الذين انحرفوا عن مبادىء دينهم، وضلوا الطريق ، فانهم سيعودون في المستقبل إلى جادة الصواب ،

وإضافة إلى هذه الاحقاد فإن المسلمين لم ينسوا مطلقاً نظم الحكم الفاسدة التي جربوها كلها فلم تؤد في البلاد إلا إلى أسوأ الاحوال فاعتقدوا بعدم صلاحها ، ورأوا في نظام الاسلام ذلك المنهج القويم الذي لا تطاله الشبهة ولا يمكن أن يصل اليه النقد خير سبيل لانقاذ البلاد من الفوضى وحماية أخلاقها والعناية بترابها .

خرج المستعمر وسلم مقاليـــد الامور إلى الحزب التقدمي التشادي الذي يرأسه السيد فرانسوا تومبالباي ويطبق سياسته التي لا تختلف عن سياسة المستعمر فالصلة مع اسرائيل واضطهـــاد المسلمين ونشر المفاسد والحكومة التي تعين تعييناً وتتألف من ١٢ وزيراً ليس فيهم إلا ثلاثة وزراء من المسلمين نظرياً .

بدأت الحكومة بالاضطهاد وفرض الضرائب ، فقامت أول انتفاضة عام ١٩٦٥ ، ولم تكن منظمة فقضي عليها بسرعة ، ولكن يمكن اعتبار هذا العام بدءاً للثورة العامة ضد الحكم ، ومن هذا تشكلت الجبهة الشعبية لتحرير تشاد ، واختير السيد أبو صديق أميناً لسر هذه الجبهة ، وهو من مؤسسي حزب p.p.T عام ١٩٤٦ هو وتومبالباي ، وبقي في هذا المنصب القيادي للحزب حتى عام ١٩٥٩ ، حيث شغل هذا المركز تومبالباي ، وتفرد بالأمر ، ومع ذلك بقيا صديقين حتى عام ١٩٦٨ م

وما بدأت أخبار انتفاضة ١٩٦٥ حتى تم اعتقال نائب رئيس الجمعية الوطنية السيد جلال وثلاثة من الوزراء هم : وزير الدولة ، والوزير المكلف بشؤون العدل السيد محمد بارود ووزير شؤون رئاسة مجلس الوزراء السيد محمد غوني ، كما اعتقل نائب مدينة بانغور السيد بول جبرين ، وكانت قد حدثت اصطدامات دموية في أول من تشرين الثاني بمدينة « مانغالم » ، وكان وقوع حادث بسيط كفيل بأن يتخذ من العنف أشده ويبلغ من الخطورة مداها ، وقد وقعت هذه الأحداث على أثر الانفجار الذي نشب في هذا القطاع ، وأسفر عن ثمانية قتلى .

ثم قامت الثورة في عـــام ١٩٦٧ ، وشملت أكثر المناطق الإسلامية ، وخاصة تيبستي وبلاد التيبو ، حيث سيطر الثوار على المناطق الشمالية ، واستنجد تومبالباي رئيس جمهورية تشاد بفرنسا ؛ فأمدته بـ ٨٠٠ مظلي عام ١٩٦٨ ، ولكن لم تجد هذه المساعدة في استعادة مدينة « اوزو » فأرسلت له نجدة ثانية عام ١٩٦٩ تقدر بـ ٢٦٠ جندي من الفرقة الأجنبية ومشاة البحرية ، ووصلت هذه المساعدة في شهر نيسان ، ولكن لم تستطع حكومة تشاد من السيطرة على الموقف إلا في شهر مايس عام ١٩٧٠ م .

ويدير جبهة تحرير تشاد الدكتور أبو صديق من ليبيا .

أظهر تومبالباي سياسة المهادنة ، وطلب سحب القوات الفرنسية من المناطق الشمالية ، فقبلت ليبيا عن هذا التصرف ، ولكن هذا لم يقنع جبهة تحرير تشاد التي كانت في الجزائر ، ولا زعيم قبائل التيبو الذي كان يعيش في منفاه في ليبيا ، حيث كانت حكومة تشاد تحاول في كل مرة إظهار التعاون مع المسلمين ثم لا تلبث أن تضطهدهم ، وتعلن عن محاولة لهم لتهديد أمن الدولة أو محاولة القيام بانقلاب ـ تدعي هذا ـ لتضربهم ضربة قاصمة ، دون أن يظهر منهم أي عمل .

ويتضح هدف جبهة التحرير الوطني التشادي من المقابلة التي أجراها الأمين لهذه الجبهة وهو السيد محمد الباقلاني مع جريدة فتح ، وكان مما قاله :

إن عدد سكان تشاد ثلاثة ملايين ونصف المليون نسمة ، منهم ٨٥ ٪ من المسلمين ، و ١٠ ٪ من الوثنيين ، و٥ ٪ من المسيحيين ، وإن تشاد كانت مستعمرة فرنسية ، وقد منحت بتاريخ ١٩٦٠/٨/١١ استقلالاً شكلياً على أثر جهاد طويل ونضال مرير خاضه شعب تشاد ضد الاستعمار الفرنسي ، واستدل السيد الباقلاني على شكلية الاستقلال بالأمور الآتية :

١ - تزوير الانتخابات .

٢ - تسليم السلطة لعملاء الاستعمار برئاسة فرانسواتمبالباي وفرض وجوده بالحديد والنار .

٣ - فتح الباب أما التغلغل الصهيوني إذ أصبحت الشركات الاسرائيلية تسيطر على كل المرافق الموجودة في الدولة : المجالات العسكرية والاعلامية والمدرسية - وخاصة إدارة اللغة العربية - ، كما قام الصهاينة بإقامة معسكرات للشباب والإشراف عليها ، وإرسال القياديين من هؤلاء الشباب إلى فلسطين المحتلة لتدريبهم وإعدادهم كعملاء للصهاينة في المنطقة ، كما قاموا بانشاء ما يسمى بالمستعمرات الزراعية ، واحتكار الصيد البري والبحري ، وافتتاح المراكز الثقافية وتوزيع الكتب باللغة العربية والفرنسية والانكليزية لتثبيت دعاية الصهاينة ، وباختصار فإن اسرائيل أصبحت المخطط والموجه لسياسة تومبالباي .

٤ - وجود القوات الفرنسية .

٥ - حل الأحزاب السياسية باستثناء - الحزب التقدمي التشادي-الحاكم العميل، فقد كان هناك حزب الاستقلال الوطني الافريقي والاتحاد الوطني التشادي ، وكانا يشكلان المعارضة في البلاد -

ويمثلان الأغلبية فما كان من العميل تمبالباي إلا أن حل هذين الحزبين وحل البرلمان ، وعين بعض العملاء تعييناً تعسفياً ، وقابل كل معارضيه بقوة السلاح .

هذه الأوضاع جعلت الشعب يستنكر هذه اللعبة الاستعمارية المسماة بالاستقلال ، وابتدأت المعارضة بشكل تظاهرات ، وبدأ الاستعمار باستعمال وسائل القمع البوليسية الارهابية ، واعتقل كل الوزراء المسلمين المشتركين في حكومة تمبالباي وذلك على ضوء خطة تمزيق البلد بالطائفية ، ومسخ نضال الشعب بحيث يبدو وكأنه نضال أغلبية ضد أقلية [1] مما يبعده عن الارتباط الصحيح بحركة التحرر العالمي .

هذه الأوضاع الشاذة هي التي جعلت الشعب يلجأ إلى حمل السلاح دفاعاً عن نفسه وحماية عن كرامته وشعوره القومي ، وقد نشأ تنظيم سري تكتل فيه كل الزعماء المعارضين الذين بقوا خارج السجن ، وخرج بعضهم إلى الدول الافريقية والعربية انقل القضية إلى المحيط الدولي وبعد الاعداد والتكوين انطلقت الشرارة الأولى للثورة في تشرين الثاني عام ١٩٦٥ م بقيادة الاتحادالوطني التشادي، وبعد أن توسعت الحركة الثورية عقد مؤتمر شعبي في حزيران

(١) يدعي المستعمر أن المسلمين أقلية في تشاد وتبلغ نسبتهم ٤٥ ٪ من مجموع السكان ، وليس لهذا الادعاء أساس من الصحة .

١٩٦٦ م ونتج عنه تكوين جبهة التحرير الوطني التشادي ومن ذلك الحين أصبحت الجبهة هي المنظمة الوحيدة التي تقود الحركة الثورية في تشاد .

وأهداف الجبهة هي :

١ ـ القضاء على النظام الدكتاتوري .

٢ ـ جلاء القوات الفرنسية .

٣ ـ تكوين حكم ديمقراطي عادل ، يكفل الحقوق لكل المواطنين .

٤ ـ مساندة حركات التحرر في البلدان الافريقية والعربية وخاصة الثورة الفلسطينية .

٥ ـ تصفية النفوذ الصهيوني .

٦ ـ بناء اقتصاد وطني مستقل .

٧ ـ جعل اللغة العربية هي لغة الدولة الرسمية .

٨ ـ إقامة علاقات دبلوماسية مع الجميع باستثناء ـ إسرائيل وجنوب إفريقية ـ .

وجبهة التحرير الوطني التشادي لها نشاط سياسي وعسكري إلا أنها تولي النشاط العسكري الأهمية الأولى في هذه المرحلة ،

وقد تمكنت من السيطرة على ثلثي البلاد . وكادت تسقط حكم العيل تمبا لباي لولا أنـــه استعان بالقوات الفرنسية التي تستعمل الطيران في محاولة منها لإبادة ثوارنا ، ممـا أعاق النصر القريب قليلاً ، ولكن على الرغم من كل الصعوبات فإن الثورة تتقـدم والحكم العميل ينحسر .

ويجدر بنا أن نقول أن الثورة تعتمد على إمكاناتها الذاتية ، على بذل الشعب واستعداده للشهادة ونحن نأمل أن يتحرك الشعب الفرنسي بالضغط على حكومته لإيقاف الاعتداء على شعبنا المناضل .

لقد استطاعت الجبهة أن تصفي المطارات العسكرية الاسرائيلية التي أقيمت في تشاد على الحدود المشتركة بيننا وبـين السودان من جهة ، وبيننا وبين ليبيا من جهة أخرى .

كما أنها صفت كل المستعمرات الزراعية التي أقامها الصهاينة في تشاد – المناطق المحررة – وكذلك أماكن الصيد التي تبلغ مساحتها ٢٠٠ كم٢ ، كما صفت مركز تدريب الشباب في منطقة كوكونقراتا ، وكل هذا على سبيل المثال لا أكثر .

ونريد بهذه المناسبة أن نتجه إلى رجال الثورة الفلسطينية ، لنؤيدهم برفض المشاريـع التصفوية مثل مشروع مجلس الأمن الصادر في ٢٢ تشرين الثاني ١٩٦٧ ومشروع روجز الأخير . لأن أي

ثورة لا تكتسب ثوريتها إلا من رفضها للتخاذل وانصاف الحلول ، فليس مجلس الأمن هو الذي يضمن حق شعب فلسطين .

واعتقـد أن الصحيـح والأمثل هي ما رفعته فتح (ثورة حتى النصر) . وبهذه المناسبة فنحن نتجه إلى الدول العربية لتعتبر كفاحنا ضد الصهيونية والاستعمار امتداداً لكفاحهـا ، وكم كان شعبنا يشعر بمرارة عندما لم يجد من يستنكر العدوان الفرنسي علينا ، نحن نسأل الاعلام العربي لماذا يستنكر العدون على فيتنام ويتجاهل العدوان الفرنسي على تشاد وغيرها [1] .

وفي ليلة الجمعة ٢٧ آب ١٩٧١ أعلن عن محاوله انقلاب تزعمها أحمد عبد الله الذي انتحر عندما فشلت المحاولة ، وقيل في انتحاره أنه يريد إخفاء تفاصيل العملية، والذين اشتركوا معه فيها ، فتوترت العلاقة من جديد بين ليبيا وتشاد ، حيث ادعت حكومة تشاد أن ليبيا كانت من وراء العملية، فقطعت العلاقات الديبلوماسية بينهما، وصرح رئيس جمهورية تشاد في ٦ أيلول في مؤتمـر صحفي بأنه مستعد للتعاون مع أي ليبي يرغب في استخدام أرض تشاد منطلقاً لمحاربة معمر القدافي الرئيس الليبي . وقد أرسلت تشاد بعثات رسميـة لشرح تفاصيل المحاولة الانقلابية الفاشلة للدول العربية والافريقية [2] .

---

(١) جريدة فتح بتاريـخ ٢/٨/ ١٩٧٠ .

(٢) ومما يؤسف له أن هذه البعثات قد استقبلت في البلاد العربية .

وقد اعترفت ليبيـــا في ١٩ أيلول رسمياً بالجبهة الشعبية لتحرير تشاد .

وبعد فـترة زال كثير من الاتهامات ، وعادت الحالة إلى وضعها الأول من تعصب ديني وقبلي . إن بعض قبيلة السارا قد اعتنق الإسلام ودان الآخر بالمسيحية ، والذين دخلوا الإسلام منهم يعاملون معاملة سيئة ، ويفرق بينهم وبين أشقائهم المسيحيين فمثلاً حاكم منطقة زوار وهو (اللافي) لم يرقّ إلى رتبة أعلى من ملازم أول ولا يحق له تجاوزها لكونه مسلم رغم أنه من السارا ، بينما حاكم منطقة برداي وصل الى رتبة رائد ، وهو أقل قدماً من الأول ، وهذا التقدم في الرتبة لكونه مسيحياً ومن قبيلة السارا أيضاً ، وهي القبيلة الحاكمة التي ينتمي إليها تومبالباي رئيس جمهورية تشاد الحالي .

ولا يسمح المسلمين بحمل السلاح أبداً في حين يسمح لغيرهم ، وكل من يسمح له من المسلمين هو ملك تيبستي فقط ، كما أن بعض السجون خاصة بهم ، فسجن برداي مثلاً وهو في الشمال لم يعرف سجيناً من غير المسلمين ، وذلك بسبب كثرتهم وكثرة التهم التي تلحق بهم ، والنظرة الخاصة لهم .

تشاد وعلاقاتها الدولية

١ - **مع إسرائيل** : يتغلغل النفوذ الإسرائيلي في تشاد بشكل واسع وذلك لأن الثقافة واحدة في إسرائيل وتشاد وهذه الثقافة هي الثقافة الغربية ، كما أن الاستعمار وطد أقدام إسرائيل في تشاد قبل خروجه من البلاد . هذا بالإضافة إلى اعتراف إسرائيل المباشر باستقلال دولة تشاد عام ١٩٦٠ .

وتشاد دولة فقيرة بحاجة إلى المساعدة والعون ، وقد اسرعت اسرائيل فعرضت عليها المساعدات الفنية والثقافية وكان في تشاد خمسة خبراء إسرائيليين عام ١٩٦٢ م ودعت حكام تشاد لزيارة إسرائيل ، وقبلت طلاباً منها في المعهد الافروآسيوي الذي تأسس في ١٨ تشرين الأول عام ١٩٦٠ في إسرائيل .

ولإسرائيل سفارة في تشاد منذ عام ١٩٦٣ ، بينما تشاد ليس لها سفارة في إسرائيل .

وتقوم إسرائيل بتدريب الجنود التشاديين ، ولليهود حرية التنقل في كل أراضي تشاد ، وأكبر تاجر في تشاد هو صادق اليهودي

والمسلمون يقاومون اليهود في جميع المجالات ، فقد جاء طبيبان يهوديان إلى مدينة فايا لمداواة السكان مجاناً ، ولكن رفضهما السكان، فحرمت المدينة من أي طبيب آخر جزاء لهذا الرفض ، وبقيت المدينة بدون طبيب منذ عام ١٩٦٦ م .

ويجد اليهود دعماً من إسرائيل بينما غابت المنافسة لإسرائيل من قبل الدول العربية والإسلامية .

٢ ـ **مع فرنسا** : فرنسا الدولة المستعمرة لتشاد سابقاً ، وقد أوجدت أنصاراً لها قبل انسحابها من البلاد عام ١٩٦٠ ، ولا يزال هؤلاء الأنصار حكاماً للبلاد سواء الذين يرتبطون مع فرنسا بالعقيدة أو بالمنفعة أو بكليهما معاً .

ولفرنسا حامية إلى الآن في العاصمة تقدر بـ ١٠٠٠ جندي إضافة إلى الاتفاقية القائمة بين الدولتين والتي تقضي بالمساعدة العسكرية لتشاد حين الضرورة ، وقد نفذت بنود هذه الاتفاقية أثناء ثورة قبائل التيبو في الشمال عام ١٩٦٧ — ١٩٦٨ م .

وتعتبر اللغة الفرنسية هي الرسمية في البلاد ، وتقوم بين الدولتين علاقات ديبلوماسية على مستوى سفارة .

٣ ـ **مع ليبيا** : الصلات وثيقة بين ليبيا وتشاد فالرابطة

الدينية تربط بين شعبيهما وهناك السنوسية التي تنتشر في ليبيا وشمال تشاد ، وهناك قبائل واحدة تتنقل بين البلدين حتى أن بعضهم من أبناء بلد يملك أراضي في البلد الآخر ، ويحمل بعضهم جنسية البلد الثاني و٧٠٪ من تجارة تشاد بيد الليبيين، وقد بلغ عدد التجار من ليبيا في تشاد عام ١٩٦٦ ما يزيد عن ٣٥٠٠٠ تاجر ، وقد عاد معظمهم إلى ليبيا بعد ازدياد الثروة البترولية فيها . كما يوجد ٣٠٠٠ رجل من قبائل التيبو يعملون في الجيش الليبي .

وهناك خلاف بين الدولتين على الحدود ، فقد رسمت الحدود عام ١٩١٩ بين البلدين باتفاق بين فرنسا وإيطاليا الدولتين المستعمرتين ، ثم عدلت هذه الاتفاقية عام ١٩٣٥ ، دخلت بموجب هذا التعديل الأقسام الشمالية من جبال تيبستي ضمن ليبيا ، ولكن هذا التعديل لم ينفذ ، وأثناء الحرب العالمية الثانية وسعت فرنسا حدود تشاد الشمالية على حساب ليبيا ، وبعد الحرب عام ١٩٥٥ صرف النظر نهائياً عن اتفاقية عام ١٩٣٥ ، وبهذا بقيت أقسام من ليبيا ضمن تشاد ، وتعتبر ليبيا ممر كوريزو نقطة حدود بين الدولتين بينما هو ضمن أرض تشاد ، وتبعد عن الحدود التي رسمتها فرنسا أكثر من ١٦٠ كم .

ويوجد بين الدولتين تبادل دبلوماسي على مستوى سفارة ، ولكن قطعت هذه العلاقات بعد محاولة الانقلاب التي قامت في تشاد عام ١٩٧١ ، والتي اتهمت تشاد حكومة ليبيا أنها وراء هذه العملية ، واعترفت ليبيا رسمياً بالجبهة الشعبيه لتحرير تشاد التي تعمل لتغيير نظام الحكم القائم .

٤ – **مع السودان** : وهناك صلات وثيقة بين تشاد والسودان تشبه إلى حد كبير العلاقات بين تشاد وليبيا حيث توجد قبائل تتنقل بين البلدين ، وتربط بين الشعبين الرابطة الدينية . وكذلك يوجد تبادل دبلوماسي على مستوى سفارة .

٥ – **مع بقية البلاد العربية** : لا يوجد بلد عربي آخر له علاقات مع تشاد ، كما أن المنافسة العربية لاسرائيل في تشاد تعتبر بحكم المعدومة . والاهتمام بهذه الدولة قليل ، ودعم المسلمين هناك مفقود .

المدن

تتوزع المدن والقرى في تشاد بشكل غير متساو في جميع أنحاء البلاد ، فتزداد القرى في الجنوب حيث المناطق الزراعية التي تعتمد على مياه الأمطار الصيفية ، وعلى الري الدائم من الأنهار الجارية .

وليس لبنائها مكان معين ، وأفضل ما تكون على المرتفعات خوفاً من الأمطار والسيول . ثم هناك القرى في الشرق والشمال ويكون سكانها مزيجاً من الحضر والبدو ، فهي تعتمد على الري بالدرجة الأولى ثم على بعض أنواع الزراعة وهذه القرى أشبه ما تكون بالواحات في قلب الصحراء وتبنى هذه على ينابيع المياه الضحلة .

أما في منطقة البحيرة القديمة فنجد القرى قليلة ومبعثرة ، وذلك لأن المناخ غير ملائم ، وتؤلف المستنقعات قسماً كبيراً من المنطقة ، ويظهر هذا الأمر جلياً في منطقة منخفض بودلي .

ولا تزال المدن في تشاد صغيرة أشبه ما تكون بالقرى ، وهي في أول تقدمها وتطورها وأهم هذه المدن :

فورت لامي : وهي العاصمة ويقصد بها قلعة لامي ، ولامي هو القائد الفرنسي الذي قتل على أبوابها عام ١٩٠٠م في معركة حامية جرت بين القوات التشادية بزعامة الأمير رابح والقوات الفرنسية تحت إمرة لامي ، وقد كانت هـذه المدينة قبل هـذه المعركة تعرف باسم قصيري . ويبلغ عـدد السكان فيهـا اليوم ما يقارب / ٩٠ / ألف نسمة ويؤلف المسلمون ٤/٥ سكانها ، وفيها ما يقارب ثلاثة آلاف من الأوربيين ، ويشكل الإسلام رابطة قوية بين السكان ، وتكثر في العاصمـة المساجد ، كما تكثر الزوايا ، ولا تزال أكثر البيوت تبنى على الطراز العربي ، والتجارة فيهـــا بأيدي شعب الحاووسا المسلم والكانوري المسلم بأكثريته ...... والذي لا يزال فيه بعض الوثنيين ، كما يصل إلى العاصمة جماعات من شعوب السارا والكوتوكو طلباً للعمل ، وتقع المـدينة عند التقاء نهري شاري ولوغون في منطقـة لا تبعد عن بحـيرة تشاد أكثر من / ١٥٠ / كم وعلى الحدود مع الكامرون . والملاحـة النهرية هي واسطـة النقل الكبرى بل الواسطة الوحيدة ، لذلك

نجد أن العاصمة تصنع السفن والزوارق الضرورية للعمل في الأنهار . وتحيط بالعاصمة المنطقة الزراعية بسبب وجود الماء اللازم للري ، كما أن الأمطار تكفي في كميتها للزراعة . ولكن تكثر المستنقعات في تلك المنطقه وخاصة بعد فترة الأمطار . وتعتبر فورت لامي اليوم نقطة التقاء الطرق التجارية القادمة من الشمال والجنوب والشرق والغرب .

فورت ارشامبول : وتقع في الجنوب عند التقاء نهر شاري بوافده نهر كيتا من الجهة اليمنى ورافده نهر أوهام من الجهة اليسرى . وتعتبر ثاني مدينة في البلاد .

وقد كانت قديماً تتبع جمهورية إفريقية الوسطى عندما كانت هي وتشاد جزءاً من إفريقية الاستوائية الفرنسية ، وتبنى فيها السفن والزوارق التي تسير في نهر شاري . وفيها مدرسة ابتدائية تدرس علوم الشريعة .

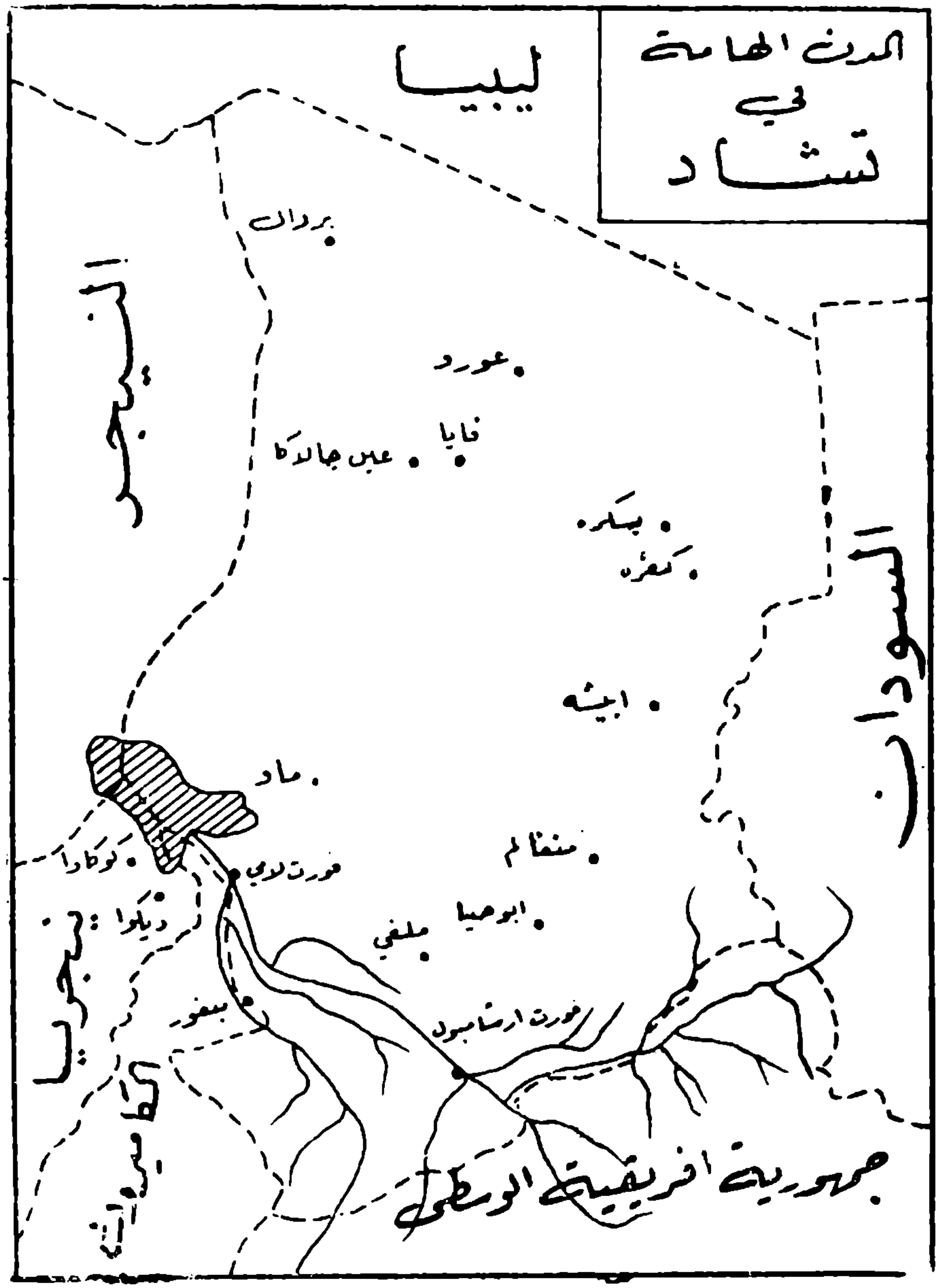
نيغور : وتقع على حدود الكامرون على نهر لوغون ، وتقوم منطقتها على الزراعة بالدرجة الأولى بسبب الأمطار الكافية في فصل الصيف ، وعندما يأتي فصل الجفاف وهو الشتاء يكون الطمي الذي حملته الأنهار قد توضع . فتنمو عليه الزراعات العديدة .

ابيشة : وقد انتقل إليها مركز منطقة واداي الذي كان في مدينة وارا ، وتقع على ملتقى قوافل الحجاج؛ ولها شهرتها الدينية حيث تكثر المدارس الشرعية . وفيها المعهد الديني الذي أسس عام ١٩٤٦، وقد أغلقه الفرنسيون عام ١٩٥٣ ولكن السكان قد احتجوا على هذا الإغلاق وقاموا بمظاهرات كبيرة مما اضطر الحكومة إلى إعادة افتتاحه ، ولكنها أصبحت هي المشرفة عليه ، وأكبر مساجدها جامع السلطان الذي بني عام ١٠٧٦هـ ، كما يوجد فيها جمعية الفقهاء . ولهذا المركز الديني جعلها الفرنسيون مقراً المذبحة التي دبروها للعلماء ، وهي مذبحة كبكب .

ثم هناك مدن مهمة مثل ماو شمال شرق البحيرة وفايا في الشمال وتعتبر مراكز حضارية وأسواقاً للمناطق المجاورة لها .

وتقسم تشاد الى تسع مقاطعات ثلاث منها في المنطقة الجنوبية وست في المنطقة الشمالية .

★ ★ ★


المدن الهامة
في
تشاد
ليبيا
بردال
النيجر
عورد
فايا
عين جالاكا
بلكره
كغزه
السودان
ابيشه
ماد
منقالم
فورت لامي
لوكادا
ديكوا
ابوهيا
ملفي
بنغو
فورت ارشامبول
نيجيريا
الكاميرون
جمهورية افريقية الوسطى

الفهرس

الموضوعات	الصفحة